بني إسرائيل

بقلم إمامنا الراحل فضيلة الأستاذ / الشيخ محمد حامد الفقى (رحمه الله)

([1] وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب : لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً . فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأس شديد ، فجاسوا خلال الديار ، وكان وعداً مفعولا . ثم رددنا لكم الكرة عليهم ، وأمددناكم بأموال وبنين ، وجعلناكم أكثر نفيراً . إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم ، وإن أسأتم فلها ، فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءا وجوهكم ، وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة ، وليتبروا ما علوا تتبيرا . عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا . وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً) .

« قضى » قضاء الشيء : إحكامه وإمضاؤه والفراغ منه .

« وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب » أى أعلمناهم ، وأوحينا إليهم وحياً جزما . . .

و « الكتاب » يعنى به سبحانه : الكتاب المكنون ، وهو الذكر ، وهو اللوح المحفوظ المكتوب فيه ، والكتب والرسالات المنزلة كلها على الأنبياء والمرسلين جميعاً ـ عليهم الصلاة والسلام ـ . بما فيها من علوم وعقائد وشرائع ، وأوامر ونواهى ونذر وعبر ، بالإخبار عن الماضين وعن عواقب المبتدين إلى الصراط المستقيم ، وعواقب

[1] سورة الاسراء الآيات ٤/٨

المغضوب عليهم والضالين ، فى الدنيا والآخرة . وهو الكتاب الذى كتب الله فيه كل شىء وهو كائن إلى يوم القيامة .

وقد ذكر الله هذا « الكتاب » فى مواضع كثيرة من آى القرآن . منها قوله سبحانه : (١٣ : ٣٨ ، ٣٩ وما كان لرسول أن يأتى بآية إلا بإذن الله ، لكل أجل كتاب . يمح الله ما يشاء — يعنى من رسالة الرسول السابق ، مما انقضى الزمن الذى يناسبه — ويثبت ما يشاء — يعنى يثبت فى رسالة الرسول الحاضر من رسالة الرسول السابق ما يناسب الأمة المبعوث إليها — وعنده أم الكتاب) يعنى كل الرسالات ، كما نزلت — السابق واللاحق — عنده فى الذكر ، واللوح المحفوظ .

أو أن ربنا سبحانه يعنى بالكتاب « التوراة » التى أنزلها على موسى — عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام . فإن جميع الرسالات والكتب من عند الله العليم الحكيم ، لهداية الإنسان وخيره وسعادته .

وقال الله تعالى فى وصف التوراة ، وبيان مافيها من الهدى ، وأنها فرقان بين الحق والباطل ، والشرك والتوحيد ، والمتقين والفجار (٣ : ٣ ، ٤ نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه . وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس . وأنزل الفرقان . إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد . والله عزيز ذو انتقام) .

* * *

هذا ، وجائز أن يكون ربنا قد عنى الكتابين جميعاً — الكتاب المكنون عنده فوق العرش ، والكتاب المنزل على موسى — فإن ما فى التوراة من التفصيل لكل شىء ، والهدى والرحمة ، والفرقان والتبيان ، والتفصيل لكل شىء ، والوعد والوعيد ، والوصايا والشرائع والأوامر ، والنذر والتخويف من الكفر والفسوق والعصيان عن أمر الله بذكر العواقب ، والتذكير والعبر — وإنما نزل من الكتاب المكنون الذى سماه الله « أم الكتاب » أى الجامع لكل ما فى الكتب المنزلة ، وكتب الأعمال ، والذى كتب فيه كل شىء قبل خلق السموات والأرض .

وقوله « لتفسدن » أصل « الفساد » فى لغة القرآن — لغة العرب — نقيض « الصلاح » والشىء يصلح حين يستكمل الصفات والشروط والأسباب ، التى باستكمالها يؤدى المقصود

منه ، ويبلغ الغاية المرجوة . فالفساد : عدم حصول هذه الصفات والشروط والأسباب كاملة على الوجه المطلوب للشيء ، فلا يؤدي المقصود منه .

وهي في كل شيء ـ الإنسان والحيوان والنبات والهواء والماء وغيرها ـ بحسبه ، وبحسب خلقه ، وما خلق له .

وصلاح الإنسان : إنما يتحقق باستكمال الصفات والأسباب والشروط التي جعلها الله العليم الحكيم ـ بالفطرة وبالعلم والمعرفة من سنن الله الكونية ، أو من وحيه ورسالاته المنزلة ـ فإن الله سبحانه جعلها مؤدية بالإنسان إلى الصلاح والانتاج النافع والإثمار ، الثمار الطيبة الصالحة لجعل حياته طيبة ، تتوفر له فيها أسباب الفلاح والفوز ، والسعادة وطيب العيش . ورغده وتبعد عنه النكد والشقاء في أولاه وآخرته .

وفساد الإنسان : بفقدان ذلك أو بعضه . فيفقده وتضييعه يثمر لنفسه ولمن حوله ثمرات فاسدة خبيثة ، وينتج نتائج ضارة له ولمجتمعه ، منغصة لحياته وحياتهم . فيشقى بذلك في الأولى والأخرى .

وصلاح أعمال الإنسان وأخلاقه : باستكمال الأسباب والصفات والشروط التي تجعل أعماله وأخلاقه مثمرة له ولمجتمعه الثمرات الطيبة النافعة التي توفر لهم رضوان الله وتوفيقه وتسديده . وتؤدي للإنسان ما يرجوه بفطرته التي فطره الله عليها ، وما يسعى إليه ـ جاهداً وكادحاً ـ من الفلاح والفوز ببلوغه كل ما يؤمله ويتمناه ، من الخير والعافية والطمأنينة ، ويكون الإنسان الكريم الذي رضي عن ربه ، ورضي ربه عنه .

وذلك إنما يتم له بالعلم الصحيح بنعم الله عليه ، ومزاياه وصفاتها وأوضاعها وكيفية استعمال كل نعمة على وجهها وفي وقتها ، وبمقدارها ، للانتفاع بها والاستفادة منها ، وتقديره لهذه النعم ـ بعد هذا العلم ، الذي يجب أن يكون عن قصد وتفكر . للعمل به والحاجة الضرورية إليه ، لا على أنه صناعة وحرفة لجذب لقمة العيش ، أو الجاه والسمعة ، وأخذ الشهادة الفنية به ـ وإحسانه الانتفاع بها ـ بالتحري التام ، واليقظة الصادقة ـ في وضع كل نعمة موضعها الذي خلقها الله ، وجعلها به نافعة صالحة ورحمة للانسان .

فلا بد ـ لأجل ذلك ـ أن يكون حريصاً على إنسانيته الكريمة ـ العاقلة المفكرة المميزة السميعة البصيرة ـ التى كرمه الله بها ، وميزه ، وحريصاً أشد الحرص على العلم النافع اليقينى المقوم للنفوس والمحيى للقلوب ، من سنن الله ومن رسالات الله، ليتم له الإحسان فى وضع كل نعمة موضعها على وجهها . فيثمر ذلك الثمرات الطيبة له ولمجتمعه فى الأولى والآخرة .

وصلاح المجتمع : باستكمال العناصر الصالحة، والصفات والشروط التى جعلها الله العليم الحكيم مؤدية بالمجتمع إلى الصلاح والأمن والطمأنينة والعافية ، والقوة والعزة والتمكين فى الأرض ، ونفاذ السلطان . فيسعد المجتمع ، ويؤدى ما خلق له ، من الخير والنفع ، وصلاح الأرض التى استخلفه الله فيها ، فيزيده الله قوة وعزة ونفاذ سلطان ، ويمكن له دينه الذى ارتضاه له . كما وصف الله تعالى سلفنا الصالح رضى الله عنهم بقوله (٣ : ١١٠ كنتم خير أمة أخرجت للناس : تأمرون بالمعروف ،وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم) .

ومن يقرأ تواريخ الأمم الغابرة ، ليجد حقاً أن سلفنا الصالح رضى الله عنهم ـ كانوا خير أمة أخرجت للناس فى فتوحهم ،وتقويضهم صروح البغى والكفر والفساد، وإقامتهم صروح العدل والرحمة وصالح الأعمال والأقوال والعقائد والأخلاق .

ويجد أن بنى إسرائيل كانوا أشد خلق الله كفراً بأنعم الله ، وفسوقاً عن أمره ، وانتهاكا لحرماته ، وأبعد خلق الله عن الرحمة والعدل والإحسان ؛ فقد قتلوا زكريا ويحيى عليهما السلام ، وقتلوا غيرهما من أنبياء الله والذين يأمرون بالقسط من الناس . وكم آذوا موسى الذى جعل الله نجاتهم من ظلم فرعون وسوء عذابه على يديه وبرسالته.

ولقد رموا عيسى رسول الله عليه السلام ، وأمه الصديقة رضى الله عنها بأفحش الفاحشة ، وأنكر المنكر ، واتهموها بالزنا مع يوسف النجار ، وأن عيسى ابن زنى، وما أفكوا هذا الإفك العظيم إلا بعد بلوغ عيسى الأربعين من عمره ، وهو يعيش بينهم موقراً محترماً .

فلما أرسله الله إليهم ، ودعاهم إلى إقامة العمل بالتوراة ، وانتهاج نهجها القويم ، ليتخلصوا من الفساد والبغى ، وحياة البؤس والذلة : قام شيوخهم من الأحبار والرهبان بعدائه أشد العداء ، وافتروا عليه وعلى أمه الصديقة البتول هذه الفرية التى لاتليق إلا بهم ، وبرقابهم الغليظة وقلوبهم التى هى أشد قسوة من الحجارة . ولم يعبأ عيسى عليه السلام ، ولا العقلاء الذين اتبعوه بإشاعتهم هذه الفاحشة ، بل ثابر الدعوة إلى ربه ، وبذل الجهد فى تخليصهم فلما رأوا أن تلك الفرية لم تكف عيسى عن تبليغ رسالة ربه : سعوا بكل ما استطاعوا عند الملك الرومانى الوثنى حتى حكم على عيسى ابن مريم عليه السلام بالقتل والصلب ، ووكل إلى أحبارهم ورهبانهم تنفيذ هذا الحكم ، ليحملوا وزره . . .

ولولا أن الله طهر عبده ورسوله عيسى من أيديهم الأثيمة الرجسة ، ورفعه إليه ، وألقى شبهه على واحد منهم ، لنفذوا فيه الحكم القاسى أشد القسوة . وهم إلى الآن يعتقدون : أن الذى قتلوه وصلبوه : هو عيسى رسول الله عليه السلام ، ثم أغروا النصارى باعتقاد ذلك ، وباعتقاد قداسة قتله وآلة قتله ، والخشبة التى عذب عليها . فلاشك أنهم يحملون إثم قتل عيسى بما يعتقدون ويدينون إلى اليوم وبعد اليوم .

فعاقبهم الله على كفرهم الشنيع ، وبغيهم الفظيع فى قتل زكريا ويحيى ومن قبلهما ومن بعدهما من الأنبياء عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام بأن سلط عليهم الأشوريين والكلدانيين مرة هؤلاء ومرة أولئك « فجاسوا خلال الديار » أى لم يتركوا مدينة ولا قرية إلا دخلوا قصورها ودورها ومعابدها يقتلون وينتهكون الأعراض ، ويأسرون ويغنمون ، ولم يتركوا أرضاً زراعية ، ولا بستاناً ولا مصنعاً إلا خربوه وسلبوا مافيه من آلات ومنتوجات ، وقتلوا وأسروا من فيه .

« وكان وعداً مفعولا » حقق الله به ماوعدهم على كفرهم وفسوقهم وعصيانهم وتمردهم واستكبارهم على الله وربهم ، وعلى هداه وشرائعه ووصاياه ، فلم يغن عنهم أحبارهم ولا رهبانهم ولا أموالهم ، ولا غرورهم بما كانوا يزعمون من علومهم التى فرحوا بها والتى بها حقروا رسالات الله وأبغضوها ومقتوها . فقد فعل الله بهم هذا العذاب ،

بتسخير الكلدانيين والآشوريين وغيرهم ، تحقيقاً لوعده الذى لايتخلف .

ولا تزال — ولن تزال — الذلة والصغار مكتوبان عليهم ، ولازمان لهم ، إلى يوم القيامة ، إلا بحبل من الله ، لمن آمن منهم الإيمان العلمى الصادق ، وتاب وأناب وعمل عملا صالحاً ، تنفيذاً لشرائع الله المرسلة ، المختتمة برسالة من بشر به موسى وعيسى وغيرهما من أنبياء الله . وأخذوا عليهم العهد بالإيمان به واتباعه وطاعته ، ونصره وتعزيزه ، واتباع النور الذى أنزل معه — : محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو بحبل من الناس .

وإن ربك لبالمرصاد . وكان وعد الله مفعولا . وكان حقاً على الله نصر المؤمنين الذين يحمون حمى رسل الله وينصرونهم ويعزرونهم ، ويعملون جاهدين لتعيش الإنسانية فى سلام وأمن وعافية من مكائد الصهيونية الأثيمة التى يبغضها الله ويمقتها أشد المقت ، لما يعلم من عدائها له ولرسله ولكل خير وطمأنينة يحبها للإنسان . لتبقى شمس رسالة الله مشرقة تهدى الإنسانية إلى الحياة الآمنة المطمئنة والعيشة الرضية فى الأولى والأخرى . والله عليم حكيم ، رحمن رحيم .

والقرآن ملىء بآيات توبيخهم وتقبيح فعالهم ، ومؤكد أن الله أعطاهم من النعم والإكرام كثيراً وآتاهم الملك والحكم ، وجعل لهم دولة عظيمة دخلت مصر وملكتها وملكت بلاد الآشوريين وغيرها . وامتحنهم الله بذلك وغيره ليشكروه ، وليحسنوا فيما آتاهم ، لكنهم كفروا أشد كفر وأطغاه وأشنعه . فسلط عليهم من جاسوا خلال ديارهم ، وتبروها تتبيرا ، فأهلكوا كل شىء ، وأخسروهم خساراً كبيراً ، إذ قتلوا الرجال وسبوا الذرية والنساء ، وخربوا بيت المقدس ، وبعد فترة من الزمان ، امتحنهم الله ، فرد لهم الكرة عليهم ، وأمدهم بأموال وبنين وجعلهم أكثر نفيراً . أى أعطاهم من الصحة وقوة الأجسام وكثرة العدد والثراء والغنى لما جعل عدد جيشهم الذين ينفرون للحرب كثيراً ، يظن أنهم يغلبون عدوهم . وذكرهم ماصنع بهم كفرهم وبغيهم وفسوقهم ومعاصيهم فى الماضى ، وحذرهم العاقبة الوخيمة ،

وقال لهم (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم ، وإن أسأتم فلها) أى أن أحسنتم أخذ النعمة — فى الغنى والقوة وأسباب الملك، وفى الشرائع والوصايا — بقوة وحزم ، وقصد جازم إلى الشكر والانتفاع ، والاستقامة على السبيل السوى الذى رسمه الله لكم، وتبتم عن فجوركم وبغيكم ، وذكرتم ربكم بالتفكر والتأمل فى آياته الكونية فى الأنفس والآفاق، وبالتفقه والتدبر لرسالاته وطاعته، وتحرى الاتباع لها : زكت نفوسكم، ورقت قلوبكم ، وكنتم خير الناس لأنفسكم وللناس ، فمكن الله لكم فى الأرض ، ومد فى نفوذ سلطانكم . وإلا فالله غنى عنكم وعن أعمالكم . فلن تضروه بكفركم وإفسادكم فى الأرض شيئاً ، ولن تنفعوه بطاعتكم وإيمانكم . والله غنى عن العالمين .

(وإن أسأتم فلها) أى كما أسأتم وأفسدتم فى الأرض كما أفسدتم ، فسيسلط الله عليكم من هو أقوى وأشد بطشاً ، ويذيقكم من العذاب الدائم والذلة الملازمة: مايسيء وجوهكم ، ويكسوها الخزى والذلة والمقت. وهو الذى سماه فى الآيات الأخرى «خزى الدنيا » « ويتبروا ما علوا تتبيراً » يعنى يخربوا بلادكم ويهلكوا دولتكم وسلطانكم أشد التخريب والإهلاك . فتخسرون كل شىء فى الأولى والأخرى .

فلم يحسنوا الانتفاع بنعم الله ، وفى أخذ شرائع الله ، بل بغوا وطغوا وفسقوا وعصوا، وأساءوا أشد الإساءة. وأفسدوا فى الأرض أشد الإفساد. كما وصف الله ذلك فى كتابه ، واتبعوا أهواءهم ، وحرفوا الكلم عن مواضعه، فازدادت قلوبهم قسوة ، ونفوسهم رجساً ، فأخذهم الله بذنوبهم، وسلط عليهم مرة أخرى من صنع مثل صنيع الأولين وأشد .

* * *

ولا يزالون إلى اليوم وبعد اليوم فى التبار والذل والصغار . لأنهم لا يزالون أشد الناس إفساداً فى الأرض . فقد حاولوا قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم بإلقاء حجر رحى عليه من على — وكان سبب غزوة بنى النضير وإجلائهم — ثم سموه فى خيبر . ثم فى خلافة عمر رضى الله عنه — رقد الصف الشرقى — وأجلاهم عن جزيرة العرب —

كونوا « الجمعية الباطنية » الإرهابية برياسة كعب الأحبار ، فاغتالت عمر رضى الله عنه . ثم ألبت على عثمان رضى الله عنه حتى قتلته ، ثم أغرت بين على ومعاوية رضى الله عنهما ، حتى كانت وقعة صفين التى أريقت فيها دماء أربعين ألفاً من المسلمين ، وشغلتهم عن الفتوح الإسلامية ثم قتلت علياً ، ثم ابنه الحسين ، ثم عملت مع أبى مسلم الخراسانى حتى قضت على الدولة الأموية العربية ، وأتت بالعباسيين ، لتكون الدولة فى كفالة الفرس عبدة النيران ، وفى حضانة الفلسفة الفارسية ، واليونانية ، لتزيغ القلوب ، بعد أن تحجب ، عنها شمس القرآن .

ثم مازالت تعمل جاهدة حتى قضت على الخلافة العباسية بدسائس ابن العلقمى الذى كان وزير آخر خليفة عباسى وأحد أعضاء « الجمعية الباطنية » لملك التتار .

ومن قبل ذهب فرع منها إلى الغرب ، فكانت دولة بنى عبيد ، الذين ادعوا أنهم فاطميون ، وكذبوا فما هم إلا يهود نسباً ، وعقيدة وعملا وحالا وعداء للإنسانية ، فضلا عن الإسلام بل كانوا أكفر من اليهود والنصارى ، كما ذكر ذلك أبو بكر الباقلانى وغيره من محققى علماء المسلمين . وما زالت دولة العبيديين تقوى وتقوى فى غفلة الناس وجاهليتهم التقليدية وترفهم المفسد ، حتى ملكت مصر وأقامت فيها دعوة الوثنية والإلحاد ، الواضحة فى « رسائل إخوان الصفا » وغيرها وفيما أقامت من قباب على القبور ، وموالد وأعياد لعبادة المقبورين ، وأقامت من دور ومنابر تعلن فيها وعليها وزيرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رضى الله عنهما : الصديق رفيقه وأنيسه فى الغار أبا بكر ، والفاروق ، الذى أعز الله به الإسلام عمر . وتعلن الصديقة ابنة الصديق ، التى نزل جبريل بصورتها فى سرقة من حرير للنبى صلى الله عليه وسلم ، وقال له « هذه زوجتك » رضى الله عنها وعن أبيها وعن كل الصحابة .

وما زالت كفرياتهم باقية فى أغلب البلاد ، وفى بعضها لاتزال الألسنة والأقلام الكافرة الفاجرة الحاقدة على الإسلام تلعن الخليفتين الراشدين أبا بكر وعمر رضى الله عنهما وتعلن على المنابر أن عائشة رضى الله عنها الزانية ، وقد برأها الله أعظم براءة ، فى آيات تتلى فى المحاريب . كفر بها أولئك الذين لا يلعنون إلا أنفسهم .

ثم وسمت « الجمعية الباطنية » دائرتها — بعد أن ظفرت بما ظفرت به فى البلاد الإسلامية — فتسمت باسم « الجمعية الماسونية » وأخذت تعمل جاهدة لإقامة الدولة الصهيونية بث أنواع الفساد ، وأسباب العداء ، بترويج الربى وأكل الأموال بالباطل ، والصد عن سبيل الله ، بين البشر شرقاً وغرباً ، حتى أتيحت لها الفرصة ، فأوقدت نار الحرب العالمية الأولى ، وأمدتها بالحطب والوقود من خزائنها التى ملأتها من الربى وأكل أموال الناس بالباطل . وأخذت منها « وعد بلفور » الفاجر . ثم عملت جاهدة حتى أوقدت الحرب الثانية ، وأججتها وغذتها حتى خرجت منها بتخريب وتقتيل آلاف الدور وملايين البشر ، ما شفى غيظها . وأرضى قلبها القاسى من الشعوب التى تمودت فلم تدن لإسرائيل بالعبودية .

وخرجت من هذه الحرب الثانية بإسرائيل التى لن تبقى ، ولابد أن تزول قريباً ، وتطهر البلاد الإسلامية منها . وتكون القاضية على الصهيونية المفسدة فى الأرض كلها ، ويستريح العالم من شرورها وإفسادها ، وإيقادها نار العداوة والبغضاء بين أفراد الأسرة الإنسانية ، والله لايحب المفسدين .

وقوله « عسى ربكم أن يرحمكم » أى إنما عاملكم هذه المعاملة بعلمه وحكمته ورحمته لعلكم تتعرضون - بالتوبة وتطهير القلوب من أسباب الشرور والفتن - لرحمته ، وتتقون غضبه وسخطه ولعنته . ولكنهم عادوا وعادوا . ولا يزال شأنهم قسوة القلوب وغلظ الرقاب . يعتقدون زوراً وبهتاناً أنهم شعب الله المختار ، وأنهم أحق الناس بالملك والسلطان . وأن من أشد الظلم لهم : أن لا تكون الأرض بمن فيها وما فيها ملكا لهم . حتى عاقبهم الله العقاب العادل الحكيم ، وحكم عليهم حكماً أبدياً لا نقض فيه ولا استثناء إلى يوم القيامة (٧ : ١٦٧ وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب . إن ربك لسريع العقاب . وإنه لغفور رحيم) .

* * *

ولن يخلف الله وعده . ولو اجتمع الجن والإنس فلن يقدروا على نقض حكمه الذى تأذن به وأعلنه فى أهل السماء والأرض . وإنهم لم يستطيعوا أن يضعوا أقدامهم المجرمة

فى أرض فلسطين إلا نتيجة غفوة من العرب والمسلمين ، امتحاناً من الله وابتلاء ، وهو العليم الحكيم . وهم لا بد مستيقظون ، بل استيقظوا ، وأخذوا فى أسباب القوة .

* * *

وها هى الأحداث هنا وهناك تؤكد أن حبلهم قد رس ، وأن يد الرئيس محمد أنور السادات - نصره الله وأعزه - تشتد وتشد ، وتمتد وتمتد ، ومن ورائها الأمة العربية الإسلامية - وقد ربطها الله برباط القومية العربية ، ووثقه بأواصر الجامعة الإسلامية القوية ، ما سيقطع الله به دابر الصهيونية من الأرض . ليستطيع الإنسان أن يهنأ بالعيش الآمن فى سلام ، ويطمئن فى سربه ، وينام آمناً فى أهله ، وتعود العرب خير أمة أخرجت للناس ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله . والله غالب على أمره . وإن جند الله لهم الغالبون ، وإن حزب الله لهم المفلحون . وإن حزب الصهيونية — حزب الشيطان - لهم الخاسرون .

وما هى إلا أيام معدودات ، ورايات النصر وتحرير الأرض ترفرف على ربوع العالم العربى كله ، وراية القرآن تظلل القلوب بهداها ، وتبعث من آياته وشرائه فى النفوس والقلوب ، حياة جديدة مثل ما كان فى نفوس وقلوب الذين صبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله ، فكان ويكون الفلاح .

وصلى الله وسلم وبارك على إمام المهتدين ، وأصدق الصادقين عبد الله ورسوله الخاتم محمد وعلى آله أجمعين .

إعداد : محمد رشدى خليل

أهل النار ...

عن حارثة بن وهب رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ألا أخبركم بأهل الجنة : كل ضعيف متضعف ، لو أقسم على الله لأبره ، ألا أخبركم بأهل النار ، كل عتل جوانى مستكبر » رواه البخارى ومسلم .

العتل : الغليظ الجافى .

الجواظ : المتكبر المختال .

بدعة الاحتفال بذكرى مولد النبي صلى الله عليه وسلم

للامام الراحل : الأستاذ الجليل الشيخ محمد حامد الفقى

تغمده الله برضوانه ورحمته

[كتب إمامنا الراحل الأستاذ الجليل الشيخ محمد حامد الفقى ـ رحمه الله ـ مجموعة من المقالات الإسلامية التى نعتز بها ، سجل فيها خواطره الدينية ورؤياه الثاقبة . من هذه المقالات مقالته البليغة حول بدعة الاحتفال بذكرى مولد النبي صلى الله عليه وسلم . وقد رأينا إعادة نشرها لما فيها من المعانى الدينية القيمة والمثل الإسلامية العظيمة ـ عملا على حفظ التراث الدينى واعتباره نبراسا يضيء لنا الطريق فى هذا الزمن الذى كثرت فيه البدع والانحرافات والشعوذات من المضللين والمتقولين]

مهد الله تعالى لانبثاق فجر النور المحمدى بمقدمات نبهت العقول إلى قرب مجيئه ، وأعدت النفوس وهيأتها لتلقيه بما هو أهل له من التصديق ، والإذعان ، والإجلال والإعظام ، والإكبار .

فكان حادث أبرهة مع جيشه الكثيف وفيلته العظيمة ، وإجرامه الفظيع فى محاولة هدم بيت الله العتيق وعجز قريش وأحلافهم عن صده ورده ولجوئهم وفزعهم إلى الله على لسان شيخ قريش يومئذ عبد المطلب ، إذ تعلق بأستار الكعبة ، ونادى ربه :

لاهم(١) إن المرء يمنع رحله
فامنع رحالك
وانصر على آل الصليب
وعابديه اليوم آلك

فمنع الله بيته ورد كيد عدوه فى نحره (فأرسل عليهم طيراً أبابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول) لا كرامة لقريش ولا نصرة لهم ولشيخهم ،

(١) أى اللهم

فلم يكونوا بشركهم ووثنيتهم الفاجرة ، وتلويثهم البيت الذى طهره إبراهيم للطائفين والعاكفين والركع السجود - بما نصبوا عليه وحوله وبداخله من صور وتماثيل آلهتهم التى اتخذوها من دون الله ، وإنما كان ذلك إكراماً وتمهيداً لذلك المولود الكريم الذى سيولد فى هذا العام الولادة الأولى البشرية فيكون المثل الأعلى فى طفولته لتربية النشء على الطهر والعفاف وعزة النفس وصيانتها عن كل مايتسفل بها إلى درك الصغار والفساد، والذى سيولد الولادة الثانية الروحية العلمية الرسالية حين يبعثه فيحمى به هذا البيت العتيق ويطهره من تلك الأرجاس الشركية ، ويدفع عنه الهدم المعنوى الذى هد وقوض أركانه الدينية ، بما ألصقت به قريش من صور وتماثيل أوليائهم الذين (لايخلقون شيئاً وهم يخلقون ، أموات غير أحياء ومايشعرون أيان يبعثون) .

وقد قرن الله تعالى بميلاد ذلك المولود العظيم آيات بهرت العقول ، إرهاصاً بنبوته ، وإعلاماً بجلالته ، وإيذاناً بفضيلته ، وجعله يتيماً لم ير أباه حتى يكون الفضل فى كفالته وتربيته وإيوائه لله وحده ، ليصنع على عين الله ، ويصاغ فى القالب العقلى والفكرى الذى يؤهله لوظيفة خاتم المرسلين ، وأتقى المتقين وأعلم العالمين بالله رب العالمين ، وسيد الداعين ، وأصبر المجاهدين ، وخير أولى العزم من الأنبياء الصادقين ، وأفضل قدوة وأحسنها للمهتدين إلى صراط الله المستقيم .

فهو فى ولادته الأولى : محمد بن عبدالله الهاشمى القرشى العربى : بشر ، ولد كما يولد البشر ، وطعامه وشرابه ومحياه ومماته ككل إنسان (يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون) ، وقد قال الله الذى شهد خلق رسول الله وتكوينه ، وخلق السموات والأرض ، وخلق أنفس الناس وكل شىء (قل إنما أنا بشر مثلكم) ، (وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون) ، (قل ما كنت بدعاً من الرسل) ، (إنك ميت وإنهم ميتون) ، (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) .

لقد حدث النبى ﷺ - وهو أعلم بنفسه من كل إنسان مهما أوتى من علم - « إنما أنا بشر ، فلعل أحدكم أن يكون ألحن بحجته فأقضى له » ، « إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد » ، « لاتطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ، فإنما أنا عبد ، فقولوا عبد الله ورسوله » .

نعم ، محمد ﷺ بشر فى خلقه ، بشر فى ولادته ، بشر فى طعامه وشرابه ، بشر فى محياه ومماته ، ولكنه لايستطيع عاقل

ـ فضلا عن مسلم ـ أن يفكر أو يجهد أنه أعلى أنواع البشرية فى كل خصائصها ومزاياها ، فروحه أطهر الأرواح ، وعقله أكبر العقول ، ونفسه أزكى النفوس ، وفطرته أسلم الفطر ، وتفكيره أوسع أفقاً من كل تفكير وفطنته أنبه الفطن ، ورجولته أكمل رجولة ، وشجاعته أقوى شجاعة ، وقوته أشد قوة ، وقلبه أبر القلوب وأرحمها .

* * *

ولد محمد ﷺ الولادة الثانية الروحية المعنوية ، النبوية العلمية حين أوحى الله إليه بعد انقضاء أربعين سنة من عمره الشريف

فى ليلة القدر من ليالى شهر رمضان المعظم ، بينما محمد ﷺ فى غار حراء يتحنث ـ والتحنث الابتعاد عن المآثم وما يوجب الحنث والعصيان ـ وقد فر من مكة ومجالسها ومجامعها ، ومن أهل مكة ووثنيتهم وجاهليتهم ، وأخلاقهم الفاسدة وسيرتهم المعوجة حيث لا يجد عنده من العلم ما يستطيع أن يرشدهم به ، ولا من الدين الحق ما يقدر أن يرجعهم به عن غيهم وكفرهم ، فلم يجد لنفسه الحائرة ، وقلبه المفعم بالآلام لحال مكة وسكانها وجيرانها الأقربين والأبعدين إلا البعد عنهم حتى لا يرى ما يزيد فى لهيب تلك الآلام فى نفسه ، ويضاعف الهموم والأحزان التى أقضت مضجعه ومنعته لذة العيش فى ذلك الوسط المشترك .

فى ليلة القدر هذه بينما محمد ﷺ فى غار حراء ، غارق فى بحار التفكير فى خلق السموات والأرض وفى قومه والناس جميعاً وضلالهم ، وفى نفسه وحيرتها أمام هذه الطرق الملتوية ، والسبل المعوجة المظلمة التى يسلكها الناس إلى ربهم ، وفطرته تأبى له أن يسلك شيئاً من مسالكها ولا ترضى له تلك المسالك ، ويحاول السمو إلى معرفة المسلك القويم والصراط المستقيم ، إذ فجأه الحق فقال : اقرأ . فقال . ما أنا بقارىء ، فإنى أمى لم أتعلم القراءة ولا الكتابة ، وأين من القراءة والكتابة ناشىء قضى كل أوقات الصلاح للتعليم فى رعاية الغنم بين جبال مكة وفى صحراء جزيرة العرب التى يقل فيها النبت والمرعى ؟ فأخذه الملك وضمه إليه ضمة بلغت منه الجهد ، وعصره عصرة كادت روحه تزهق معه .

ثم خلاه . فقال : اقرأ . فقال : ما أنا بقارىء ، لقد أعلمتك أنى لست بقارىء ، وأعلمتك أنى لا أقرأ ، فكيف تأمرنى بعدها بالقراءة ؟

فأخذه وضمه الثانية أشد من الأولى ، ثم خلاه وقال له : اقرأ . فقال : ماذا أقرأ ؟

علمنى الذى أقرأه ، فماذا تريدنى أقرأ ؟

فضمه الثالثة أشد من الأوليين ، ثم خلاه وقال له : (اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم ، علم الإنسان مالم يعلم) .

فأخذه الدهش لتلك الفجاءة مع تلك العصرات الشديدات البالغات ، فارتجف فؤاده ، ورعدت فرائصه وأسرع الأوبة إلى السيدة الطاهرة البرة الكريمة أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها ، وقد كانت تنتظر تلك الساعة بفارغ الصبر ، وتعد الأيام والليالى لها ، لما كانت ترى على زوجها الكريم من شمائل النبوة ، ولما كانت تسمع من ابن عمها ورقة من صفات النبى الخاتم الذى بشر به عيسى بن مريم ، وكانت لا تراها متمثلة إلا فى زوجها الكريم محمد ﷺ .

جاءها وهو على تلك الحال من الدهشة والرجفة ، وقال : « زملونى زملونى » وأخذ يستعرض مفاجأة جبريل بمفتاح الهداية ، ومصباح النور الذى طالما تشوفت إليه نفسه التائهة ، وقلبه الحائر ، وأنه قد آن لنفسه أن تطمئن إلى هداية الله بذلك الوحى والقرآن له وللناس ، وآن لقلبه أن يستريح من حيرته المضنية العنيفة إلى روح الله ونوره يهدى به من يشاء إلى صراط مستقيم .

ثم هدأت نفسه ، واطمأنت إلى قول خديجة رضى الله عنها « كلا لن يخزيك الله بداً » ووقر فى نفسه يقين بأن الذى حمله ذلك الحمل الثقيل هو القوى العزيز ، وأنه لابد ناصره ومعينه بقوته وتوفيقه .

كان ذلك مبدأ الولادة الثانية لمحمد فكان رسول الله ، وخرج من ظلمات الحيرة التى طالما ضاق بها صدره ، ووضع عن كاهله ما كاد ينقضه من هموم التفكير الطويل فى طريق الوصول إلى الله ، والتفكير المضنى فى إنقاذ أولئك المساكين الذين أشقتهم وثنيتهم وجاهليتهم .

البقية تأتى فى العدد القادم إن شاء الله

الحـــج

لفضيلة الامام الراحل

محمد حامد الفقي

رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية « رحمه الله »

هو القصد بقلب مخلص ، ونيـة صادقة ، وهمة قوية ، ونفس فقيرة إلى ربهـا وعفوه ورحمته ، محتاجة إلى بيت الله الغنى الحميـد ، الوهاب الـكريم ، الذى بيده الخير كلـه وهو على كل شيء قدير فهو بذلك قصد خاص ، وليس كل من سافر إلى مكة وطاف بالبيت ، وحضر المشاعر ، وقضى المناسك : حاجا ولا معتمراً حتى يتحقق له هذا القصد وهذه النية والهمة، وتـكون له هذه النفس العارفة بحاجاتها ، والقاصدة إلى طلبها والحريصة على نوالها من ربها الغنى الحميد .

ولن يتحقق ذلك ويتم كله أو بعضه إلا بالعلم ، الذى يوجه القلب مخلصاً ، مؤمناً محتسباً ، فتصدق النية بالعلم والجد ، وتقوى الهمة ، وتـستيقظ النفس من غفلاتهـا فتنتهز الفرصة ، مبادرة إلى الساحة الربانية راغبة راهبة ، سائلة ضارعة ، وقـد حملت سجل حياتها ، وعرفت فيه كل أخطائهـا ، واستعدت لـكل خطيئة بندم وتوبة تناسبهـا ، وموقف فى ساعة العرض على الرقيب الحسيب يوائمها ، مؤمنة بأنه ذو مغفرة للناس على ظلمهم وأنه سريع الحساب شديد العقاب

وشأن الحج والعمرة فى هذا كشأن كل العبادات ، وشأن العبادات كشأن كل ما يعمله الإنسان ويتناوله لنفسه أو لغيره ، يفسده الجهل به كل الإفساد . ويحبطه ، فيبوء

العامل بأنواع الخسران فى المجهود ، وإضاعة الوقت ، وفقدان كل الأسباب التى إتخذها للعمل من مادية وغيرها ، فلا تكون منه إلا الحسرة المزعجة والندامة المحزنة أشد الحزن . وعلى عكس ذلك يكون الفوز والنجاح والربح الذى يملأ النفس سروراً ، يدفعها نشيطة قوية إلى الدأب على العمل والمداومة عليه بصدر منشرح ، ونفس مطمئنة ـ إذا كان قد تهيأ العامل وإستعد له بالعلم به . وبكل نواحيه وأسبابه ، ومبدئه وطريقه إلى نهايته وعاقبته — وهذا هو معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم « إنما الأعمال بالنيات ، ولكل إمرىء ما نوى » فإن النفس إنما تعزم على العمل جادة إذا هى علمت مبدأه وغايته ، وما بينهما فى الطريق ، وما يقوم فيه من عقبات ، وتتخذ الأسباب لتذليلها فتسعى بهذا الجد والعزم النشيط القوى ـ ثمرة هذا العلم — مستمدة العون والتوفيق والسند من الله ربها فى حذر وحيطة ، وتثبت فى كل خطوة حتى تصل إلى النتيجة ، التى تكون ولا بد على قدر هذا العلم والعزم والاستقامة فى الطريق . فأما إذا جهلت العمل وخصائصه ومزاياه ، ومبدأه وغايته والطريق إليها . فإنها تدخل فى العمل بغفلة وجهل وضعف ووهن ، فكلما خطت فيه خطوة تعثرت ، فلا تصل إلى أى غاية ، وقد يخضعها الجهل والغفلة ، فتتوهم أنها وصلت إلى غاية . والواقع : أنها إنما وصلت إلى غاية الخيبة والخسران ، واعرف ذلك بالقياس على أى عمل مادى — من زراعة ، أو صناعة ، أو تجارة ـ فإن كل متناول له على جهل وغفلة لن يبوء إلا بالخسران . والدين والعبادات: إنما هى شأن ، كـكل هذه الشئون ، وعمل كـكل هذه الأعمال . العامل للكل واحد ، والقصد فى الكل واحد ، وهو الغاية المرجوة — وإن كانت فى الزراعة والصناعة ونحوها للجسم البهيمى ، وحياته الدنيا ، وفى الدين والعبادات لهذا الجسم نفسه وحياته الدنيا واتخاذه مطية صالحة قوية للقلب وللروح ، وللحياة الآخرة الطيبة الآمنة من كل تعب ونصب وعناء وشقاء ونكد ـ ومن ثم اقتضت حكمة العليم الحكيم ورحمة أرحم الراحمين : أن تكون نتائج الأعمال والأحوال الدينية «ثواباً» يثوب إلى العامل ، ويرجع إليه فى حياته الأولى ، عقب عمله مباشرة ، حتى يفحصه ، كما يفحص ويتجرد التاجر غلته ، والصانع صنعته . فاوجد

فيه من نقص أو فساد ، أو ما يكون عكس للغاية المرجوة والثمرة المقصودة : بادر إلى البحث عن العلة والسبب فيما لحقه من النقص أو الفساد ، فتلافاه . وبذلك أبطل الله كل عذر لمعتذر ، وبالأخص من يزعمون أن الجهل عذر لهم فى تفريطهم وإضاعتهم وإفسادهم دينهم وعباداتهم . وكل أعمالهم الدينية ، فإن من السهل اليسير عليهم أن يعلموا ليصلحوا وتصلح عقائدهم وأعمالهم ومقاصدهم ونواياهم ، كما يسر الله عليهم العلم بكل أسباب حياة الحيوان ، فجودوها وتفننوا فيها ، فانقلبت عليهم حسرة وشقاء لأنهم لم يصلحوها بعلم الدين وعقائده وعباداته التى تصلح القلوب وتهذب النفوس ، وتزكى الأرواح والأعمال . فكانوا من الخاسرين فى دينهم ودنياهم وآخرتهم . وما ظلمهم الله شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون .

وإن من السنن التى لا تتبدل : أن الخبيث لا يلد إلا خبيثاً ، والطيب لا يلد إلا طيباً ، والجهل لا يثمر إلا جهلا ، وأن العلم يثمر علما ، والحسن يثمر حسنا ، والسوء يثمر سوءاً ، فكلما حرص الناس على الجهل ، ورضوه طريقاً ، والتمسوه عذراً ، وركنوا إليه — إزدادوا عمى وجاهلية وضلالا وبعداً عن غايتهم النافعة ، فازدادوا إساءة وخبثا فى العقائد والأعمال ، وازدادت حياتهم سوءا وخيبة ، وشقاء ونكدا ، ثم ازدادوا بعد ذلك غفلة وموتا فى النفوس والضمائر ، وقسوة فى القلوب ، وبعدا عن الإنسانية بمميزاتها الكريمة ، وإيغالا فى الهمجية والوحشية القاسية ، فتكون حياتهم أنكد وأشقى ، وهم لا يحاولون أن يحسوا ولا يشعروا بما هم فيه . وإن شعروا فى بعض الفترات ذهبوا بجهالتهم يحاولون الخروج ، فيزدادون بتلك المحاولة — الغافلة الجاهلة — ارتكاسا وانغماسا فى النكد والشقاء ، وقامت الهمجية والوحشية القاسية فى طريقهم سداً وهميًا تردهم إلى شر مما كانوا فيه .

والذى يمزق القلوب حسرة : أن المسلمين - وعندهم هذا القرآن المبين - الذى حفظه الله كما أنزل ، آياته بينات ، وهداه واضح ، وطريقه أبلج ، وهدى رسول الله ﷺ يزيد القرآن بيانا ، ويزيد محجته بياضا - يعمون عن هذا الهدى ، ويذهبون فى أشد عمى وصمم وبكم يلتصقون بالغرب الظالم الباغى ، ويقفون فى ذلة الوضيع ، ومهانة الحقير ، وصغار

الحشرات : يلتمسون منه أسباب الحياة الراضية ، والعيش الهنيء ، والأمن والعافية للفرد والمجتمع ، وهم يقرءون في الصباح والمساء من أخبار هذا الغرب الكافر الباغي الخاسر البئيس ، ويحسون بما يذوقون في أنفسهم من وحشية هذا الغرب القاسية : ما هو أوضح برهان على أن هذا الغرب بجميع نظمه الديموقراطية والاشتراكية والبلشفيه وغيرها ، متغلغل في أنكد عيش وأشقى حياة ، وأنه يعيش بماله الوفير ، وأدواته الضخمة ، وآلاته وصناعاته وفنونه الحربية وغير الحربية على فوهة البركان ، الذي يغلي بوحشيتهم وأحقادهم ، وبغيهم وظلمهم وفسادهم ، وفسوقهم ومعاصيهم ، وأنهم - رجالا ونساء ، وحكاماً ومحكومين ، ورؤساء ومرءوسين - يعرفون ذلك ، وينتظرونه في كل لحظة ، من ليل أو نهار ، فلا ينام واحد منهم إلا وهو يحلم بأن بأس الله واقع به ، وأن القنبلة الذرية أو الهيدروجينية من فوق رأسه ، تنتظر أمر الله أن تنفجر ، فتدمر عليه مدينته أو قريته ، ولا يصحو من نومه ويذهب إلى عمله بالنهار إلا ويساوره هذا التخوف ، فتظلم عليه آفاق حياته مهما ترامت أطرافها ، وينغص عيشه مهما توفرت فيه بزعمه أسباب الترف .

عجيب والله أشد العجب من غفلة المسلمين ، وشدة صممهم عن هذه الحقائق التي هي عندهم بديهية ، يتحدث بها عامتهم وخاصتهم ، ورجالهم ونساؤهم ، ثم يغفلون - بعد هذا ، ومع هذا - بأذيال هذا الغرب الشقي البائس بكل ألوان الشقاء والبؤس ، ويقفون منه هذا الموقف الذليل ، يستجدونه ما يزعمونه علاجا وإصلاحا للمجتمع ، وأسبابا للحياة القوية الآمنة ، فلا يؤتيهم إلا خبائث الفساد ، ورواسب السوء والفحشاء والمنكر ، ثم يرفعون عقيرتهم بأنهم أخذوا مما يعطيهم الحضارة والرقي ، ورفه العيش وطيب الحياة ؟ !

أترون الحياة الآمنة ، والعيش الهني بوفرة المال وكثرة المادة ، وانطلاق الحيوانية فيكم من عقال الإنسانية المميزة الرشيدة ، لتقول من الزور والمنكر ما تشاء باسم «الحرية» ولتفعل من فعال الإثم والفواحش ما تشاء باسم «الحرية» وتأتي من الكفر والفسوق وتروج لها بما تشاء باسم «الحرية» ؟ وتنتهكون الحرمات وتقتلون كل فضيلة ، وتحاولون تحطيم

سنن الله فى المرأة والرجل باسم « الحرية والمدنية » أترون ذلك يؤتى الله به الحياة الآمنة والعيش الهنى ؟ فقد بلغتم وبلغ إليكم الغرب من تلك « الحرية والمدنية » الغاية ، فأين هى الحياة الآمنة ، والعيش الهنى يأيها الناس ؟ فإن زعمتم أن قد أوتيتموها ، فالكم تنفقون الليل والنهار بكل لسان وقلم ، وتصرخون طالبين إصلاح الفرد والأسرة والمجتمع ، ومعالجة ما زعمتموه عدو المجتمع - من الجهل والمرض والفقر - وكلما ازددتم مما زعمتموه — ارتفع صوتكم بالشكوى من المتعلمين ، وكلما صحّت أجسامكم كلما ازدادت وحشيتها وتكالبها على الفساد ، وكلما توفر المال فى أيديكم كنتم أشد ضراوة فى الفساد ، وعداوة لأنفسكم ، وأشد انتهاكا للحرمات وإيغالا فى الشر والفساد ؟ .

ألا أيها الناس ثوبوا إلى رشدكم ، وراجعوا دينكم ، فاقرءوا كتاب ربكم وافهموه ، واعرفوا رسولكم ، واقرءوا بيانه لما أنزل إليه من ربه وافقهوه ، لتعرفوا الإسلام الصحيح ، فتعالجوا أمراضكم به ، وحكموه فى كل شأنكم ، فتصحوا وتطيب لكم الحياة ويهنأ العيش ، وتعودوا قادة الأمم إلى العدل والرحمة ، كما كان سلفكم بهذا الإسلام الصحيح ، من كتاب الله وهدى رسوله — خير أمة أخرجت للناس ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويؤمنون بالله ولو أن المسلمين ساروا فى حياتهم على هدى الإسلام الصحيح - لا الإسلام الوراثى التقليدى المذهبى العصبى الزائف — لعرفوا كيف ينتفعون بنعم الله عليهم ، فاتخذوا من موسم الحج أكرم وأفضل مؤتمر إسلامى ، يجمع كلمتهم ، ويوحد وجهتهم ، ويجعل منهم قوة رشيدة غالبة ترهب العدو ، وتسبق فى كل سبل الحياة العزيزة إلى أبعد غاية . وما كان لثرواتهم المعدنية وغيرها أن تفلت من أيديهم ألى أيدى أعدائهم ، ويستخدمونها فى الضغط عليهم وإضعافهم واستعمارهم .

وإن مما يبشر بيقظة المسلمين وفتح عيونهم : هذه النهضات المتوثبة فى مصر والمملكة السعودية وغيرهما من بلاد الشرق الإسلامى . حقق الله الأمل فيها ، وأخذ بها إلى سبيل الرشد والحكمة للمسلمين .

وكتبه الحزين على المسلمين
محمد حامد الفقى - رحمه الله

الهوى يهوى بصاحبه إلى أتعس عاقبة

بقلم الإمام الراحل محمد حامد الفقى رئيس عام جماعة أنصار السنة المحمدية (رحمه الله)

(٤٥ : ٢٣ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ، وأضله الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه، وجعل على بصره غشاوة ؟ فمن يهديه من بعد الله ؟) .

قد جبل الله كل نفس بشرية على طبيعة الحب والإرادة ، لتقبل على جلب ما هى بحاجة إليه فى أولاها وأخراها . ثم جعل أمامها فى كلتا الحياتين طريقين: طريقا إلى اليمين، وطريقا إلى الشمال . فذات اليمين : يمشى سالكها إلى كل غاياتها بطبيعة الحب والإرادة. وذات الشمال : يمشى سالكها كذلك بطبيعة الحب والإرادة. غير أن أهل الشمال يسمى حبهم وإرادتهم : هوى وسفها، وأهل اليمين يسمى حبهم وإرادتهم : رشداً وحكمة .

ذلك : لأن أهل اليمين لا يسيرون فى طريقهم بمجرد الحب والإرادة . بل بالحب والإرادة الخاضعين للعلم الصحيح، المستفاد من التفكر فى سنن الكون وحقائقه ، من وحى الله وهداية رسله . وأهل الشمال : يسيرون فى طريقهم بمجرد الحب والإرادة، لا يقيدونها بعلم من سنن الكون ، ولا بعلم من الوحى والرسالة . فاهتدى الأولون وأفلحوا . وضل الآخرون وخابوا وخسروا .

ولقد فتن الله الإنسان بأن جعل لكل شأن من شئونه، وجبلة من جبلاته طرفين، واحداً يذهب بها ذات اليمين ، وآخر يذهب بها ذات الشمال . ثم سخر له من السنن والآيات فى نفسه وفى الآفاق وأنزل له من العلم : ما يميز به الطرف الأيمن ، ويحببه إليه، ويهديه لحقيقته ، فيمسك به حريصاً عليه ، ويذهب به سالكا طريق أهل اليمين ،

وابتلاه بإبليس يعميه ويغفله عن الطرف الأيمن ، ويبغضه إليه ، ويزين الطرف الأيسر ، ويحببه إليه ، حتى يمسك به ، ويحرص عليه ، فيذهب سالكا طريق أهل الشمال .

وإن الله ليحب أهل اليمين — وكلتا يدى ربنا يمين — فمن ثم تعهد الإنسان فى كل أطواره ببعث الرسل إليه تترى، ليبدد بهدى الرسالة ظلمات الجهل التى — فى ثناياها — زين إبليس للناس ذات الشمال ، فهوى بهم إلى أسوأ العاقبة ،وأنزل الكتب لتبقى بعد الرسل سراجاً منيراً يبدد هذه الظلمات ، ويهدى إلى ذات اليمين ، وأكثر الناس يغلبهم الهوى والحب المجرد عن العلم ، فيعودون إلى ظلمات الجهل ، فيزين لهم الشيطان ، ويأخذهم معه ذات الشمال ، حتى ختم الله رسله بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وختم كتبه بالقرآن ، الذى جمع فيه كل عناصر النور والهدى والتقويم لكل ما حدث من الزيغ بوسوسة إبليس وتزيينه ، ولكل ما يحدث إلى قيام الساعة . ومن ثم حشد فيه كل عبر الماضين،وخوف من الغفلة عنها ، وأكد فيه بأنواع التأكيد أنه الهدى المطلق والمهيمن على كل قول وكتاب وأنه الشفاء من كل أمراض القلوب وعلل النفوس ، وأنه حفظه بأنواع الحفظ ، يحدث الناس جديداً ، كما أنزله ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وأمر نبيه — الذى اختاره لحمل الأمانة عنه : أن يبين للناس ما نزل إليهم من ربهم، لعلهم يتفكرون فى آياته فيفهموها ويعرفوا القصد المراد من إنزالها فى صفات الرب وحقوقه،وصفات العبد وحقوقه حتى يقيم بذلك ربنا الحجة : أنه لم يدع للناس مجالا ولا عذراً : أن يعموا عن صراطه المستقيم ، ويقعوا بأهوائهم فيما يزين لهم إبليس من طرق المغضوب عليهم والضالين .

فبين الرسول صلى الله عليه وسلم بعمله وحاله وقوله ما أمره الله أن يبينه ، وترك الناس على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك . وعرف ذلك أصدق المعرفة أصحابه ، الذين اختارهم الله لصحبة نبيه ، ومؤازرته على تبليغ رسالة ربه فاستمسكوا بالقرآن يتلونه حق تلاوته ، ويبادرون إلى محابهم وإرادتهم فيحكمونه عليها،

فيبعد عنهم الهوى ، ويندفعون فى تنفيذ شرائعه وأحكامه فى الفرد والمجتمع . والحاكم والمحكوم على سواء ، قوامين بالقسط ، شهداء على أنفسهم ، لا تأخذهم فى الله لومة لائم . وكانوا بذلك على نور تام من ربهم وكتابه ، يلمحون بارقة الفتنة ، فيعاجلونها بالعلاج الحاسم ، فيرتد الشيطان خاسئاً . انظر إلى عمر رضى الله عنه ، وقد جاءه من غابه الشيطان ، فنطق على لسانه بفتنة « الذاريات ذروا » فسأل عمر عن معناها فقد أشكل عليه ـ زعم ـ فرأى عمر بنوره التام : أنه ليس معنى « الذاريات » الذى خفى وأشكل عليه . فلقد كان اللسان لا يزال عربيا بالفطرة التى لم تفسد بعد بلكنة الأعاجم ، وإنما هو ريح الفتنة يفور فى رأسه فضربه بالجريد ، وهو يقول : حتى يخرج الشيطان من رأسك ، حتى أوجعه ، ثم نفاه إلى البصرة ، وحذر الناس من مكالمته .

ولكن لم يقعد هذا الشيطان أن يعمل على التخلص من عمر ، فأوحى إلى حزبه ، فقتلوه رضى الله عنه وأرضاه ، واستطاع الشيطان بعده أن يخرق بأصابعه فى هذا المجتمع ـ وقد كثر فيه الدخيل ـ ثقوبا ، نفث من خلالها ريح الفتنة ، وغفل الناس ـ لأمر قضاه الله ـ حتى اشتعلت نارها واستعر أوارها ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً . فلعب على أيدى حزبه من الفرس واليهود وأشباههم من أعداء الله ورسله من ذوى الحمية الشيطانية والعصبيات الجاهلية . فكانت فتنة قتل عثمان ، ثم فتنة على ومعاوية ، وفى أثنائها : كانت فتنة الإعراض عن بيان الرسول صلى الله عليه وسلم لما أنزل إليه من ربه ، التى لعبها إبليس على يد الخوارج ، ثم كانت فتن كقطع الليل المظلم ، من أخبثها وأشدها زحزحة للقلوب عن هدى القرآن عقيدة وعملا : فتنة المعتزلة التى أعلنت بتحكيم الهوى ـ الذى سموه العقل ـ فى نصوص كتاب الله بل وفى الأسماء والصفات ، فحرفوها عن موضعها ، وأخرجوها عن حقيقتها ، وجردوا الله من هذه الأسماء والصفات ، وكانت هذه أول بذرة الصوفية الخبيثة ، ثم كان من آثارها ودخانها : فتنة القول بخلق القرآن ، فقد تهيأ بهذه الفتنة وبما تبعها للشيطان أن يمرح طويلا ، ويذهب ويجيء بالقلوب بعيداً جداً . وكان للامام

أحمد بن حنبل — غفر الله له — المقام المحمود ، والقدم الصادق ، والقلب الراسخ ، ولم يكن قصد حزب الشيطان : تنزيه القرآن وصيانته ، بل كان قصدهم الأول والأخير : أن تزول القلوب عن الإيمان بأن هذا كلام الله ووحيه الذى أنزله هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، وفى آثار هذه الفتنة ، أو هو من آثارها : الإعراض عن القرآن وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم جملة وتفصيلا بما استحدثوا من مؤلفات وآراء ومذاهب . وما زالت الفتن والأهواء تهوى بالمسلمين ، فى ظلمات هذه الجهالات ، حتى آل الأمر بهم أن غرقوا فى فتن حيرتهم فى جميع شئونهم ، حتى جاء العدو الأفرنجى ، ووضع بيده عليهم بكل سهولة ، فى غمرة هذه الحيرة ، التى لا تزال تحيط بهم . وهم يحاولون الخلاص مما هم فيه من أسر الفرنجة ، ولكن ماهم حريصون عليه من غمرة الحيرة الجاهلية ، يجعل محاولتهم أسباباً جديدة لتثبيت مخالب العدو فى أعناقهم . وهم لا يشعرون ، أو يشعرون ، ويخادعون أنفسهم . وهذه أشد فى البلية وأعظم فى المصيبة .

وبعد ، فإن أنصار السنة ما قامت إلا لإرجاع الناس إلى هدى القرآن ، كلام الله المنزل من عنده ، وإلى هدى الرسول الذى حفظه ووعاه أصحابه ، وحفظوا به بيانه للقرآن قولا وعملا وحالا ، وأدوه كما حفظوه للناس ، وجاء من بعدهم أئمة جهابذة اصطفاهم الله واستعملهم فى حفظ هذا البيان للناس : أن يضلوا ويزيغوا ، إذا ضاع منهم هذا البيان ، فقالوا فى القرآن بهواهم ، وجروا مع الضالين الأولين وراء عدوهم المضل المبين .

نعم قامت أنصار السنة تجدد للناس دينهم من كتاب الله وسنة رسوله ، ولن يتحقق ذلك التجديد إلا بأن يؤمن الناس إيمانا صادقاً بأن هذا القرآن كلام الله ، وأنه غير مخلوق ، لأن الله لم يقل ذلك ، ولا قاله رسوله ، ولا قاله أحد من أصحابه ولا سبيل له إلى مثل هذا الحكم ، وتعلن بإلحاد وزندقة من يقول : إن القرآن مخلوق ، وتبرأ منه ، ولن يتحقق ذلك التجديد : إلا بأن يؤمن الناس بأن الله أمر رسوله بالبيان ، لأنه كان إنساناً ، ولم يكن حجراً ، ولا آلة صماء ، وأن الرسول قد أطاع ربه ، وبين البيان الشافى ، وأن

بيانه قد هيأ الله له من أسباب الحفظ ما يبقى به هدى للذين آمنوا به ، وأنه لن يتم هذا التجديد : إلا بأن يؤمن الناس: بأن أعداء الرسول قد كذبوا عليه ولابد ،وأن الشيطان لابد أن يوحي إلى أوليائه من الإنس بهذا التكذيب يروج به الخرافات والعقائد الشركية، والفسوق والعصيان ، ولكن أنصار السنة يؤمنون بالله ، وأنه لا يمكن أن يأمر رسوله بالبيان ،ثم يبين الرسول، ثم يضيع الله على عباده هذا البيان ،ويتركهم فى عماية الأهواء والفتن ، لايقدرون على التفكر السليم ولا يستطيعون إليه سبيلا . إن أنصار السنة يؤمنون بالله ، وبأنه يمتحن عباده ويبتليهم بأنفسهم وبالناس ، فهم لذلك يحرصون على إيقاظ قلوبهم ،واللجأ الدائم إلى الله وبكل شيء بمنتهى الضراعة والمسكنة- وهو مقلب القلوب - أن يهديهم لما اختلف فيه من الحق بإذنه . فإنه يهدى من يشاء إلى الصراط المستقيم ، فليس أنصار السنة أغفالا ، يأخذون كل ما نسب إلى رسول الله وليسوا غلاظ الأكباد زنادقة يطرحون كل ما نسب إلى رسول الله ، لأن الكذابين قد قالوا عليه ما لم يقل . لكنهم مؤمنون مهتدون بهدى الله فى كل سننه الكونية وآياته العلمية ، فليس كل من قدم لهم طعاماً أو ثياباً أو مالا يمتنعون عن أخذه ، ولا يقبلون عليه فى عماية وغفلة ، بل يفحصون ويمحصون .

ومائدة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما يقدمه لهم من غذاء القلوب وسترها : أعز عندهم وأغلى من غذاء الأجسام وسترها . فهم يمحصون الأحاديث ويزنونها بميزان فن الجرح والتعديل الذى وضعه وخدم الحديث به رجال صادقون مخلصون ، لم يتركوا شاردة ولا واردة ، من رجل ولاقول إلا تناولوه درساً وبحثاً . فجزاهم الله خير الجزاء . وطهر الله جو أنصار السنة من كل مارق غليظ الكبد متبع لهواه . وزاد الله أنصار السنة علما وهدى بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأقام بهم الحجة على الجاهلين الخرافيين ، وعلى الضالين المارقين ؟

من كلمات . . .

مؤسس جماعة أنصار السنة المحمدية

الشيخ محمد حامد الفقى رحمه الله تعالى

حينما أسس الجماعة عام ١٣٤٥ هـ

كان جديرا بمن استيقن حقيقة ما وصل اليه الاسلام وأهله من غربة ، وما نالهم من ذلة ومهانة وخسار عن طريق هذه الغربة : أن يقوموا بأعظم قسط فى العمل على اعادة الاسلام الى ما كان عليه من قوة فى النفوس واستقرار فى القلوب .

رأيت حين خالطت العامة فى المساجد ، أن عندهم قبولا للحق ، واستعدادا للدين ، وأنهم لا يحول بينهم وبين الخير ، الا المحترفون للدين من الجهلاء ، الذين يظنون أنهم على علم ، وهم عن العلم بعيدون، فبذلت النصح ، ورفعت لهم مصباح القرآن الكريم ، فأضاء بصائرهم، وكشف عنها غشاوة الجهل والبدع ، ونهجت لهم طريق السنة النبوية المطهرة ، فسارعوا اليه عدوا بقلوب فرحة ، وصدور منشرحة ، فقام المقلدون من عبدة الطاغوت يضعون العقبات فى الطريق ، ويحاولون اطفاء نور الله بظلام الجهل والبدع ، ولكن الله يأبى الا أن يتم نوره ولو كره الجاهلون . وكانوا كلما رأوا انتشار نور الهدى ، وانقشاع غياهب البدع ازدادوا غيظا وحنقا ، فضاعفوا الكيد ، والله غالب على أمره ، والله لا يهدى كيد الخائنين .

قدس الله روحه . وجزاه عن دعوة التوحيد خير جزاء . وأسكنه برحمته مع عباده الصالحين .

من أحسن ما قرأت

أوصيك ونفسي

فقرات من وصايا فضيلة الشيخ محمد حامد الفقي

مؤسس جماعة أنصار السنة المحمدية

رحمه الله

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على امام المهتدين وعلى آله وبعد ، فان كنت تريد فلاح الدنيا والآخرة فأوصيك ونفسي :

١ ــ اعرف ربك بنعمه التي يربيك بها وحده ، وبالتفكير في آياته في نفسك وفي الآفاق التي تجري على سنن الحق والحكمة ، وبأسمائه وصفاته التي تعرف بها اليك في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، فانك ان عرفت ربك عرفت حقه عليك ، وعرفت أنه لا ينبغي الالهية والعبادة الا له وحده ، فانه الغني ، والكل فقير ، وانه القوي ، والكل عاجز ، وانه الحي القيوم ، والكل موتى .

٢ ــ اعرف أن العبادة هي ذل القلب وخضوعه وحبه وتعظيمه وانقياده لله ، وأن القلب هو الملك على الجوارح ، فاذا دان بهذه العبودية لله ، فقد صلح ، وفي صلاح القلب صلاح الجوارح .

٣ ــ أخلص العبادة لربك وحده ، فانه الذي يربيك ويربي جميع العاملين بنعمه ، فاياه فاعبد ، وبه فاستعن ، ولا تخف الا اياه ، ولا ترجو ولا ترغب الا اليه ، (ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين) (اياك نعبد واياك نستعين) .

٤ ــ احذر أن تشرك بربك أحدا أو شيئا فى صفة من صفاته ، أو فى حق من حقوق عبادته ، فهو السميع الذى يحيط سمعه بكل شىء ، وهو البصير الذى لا يخفى عليه شىء فى الارض ولا فى السماء ، وهو القوى العزيز الذى لا يعجزه شىء ، ذو البطش الشديد الغفور الودود الفعال لما يريد ، القاهر فوق عباده الحكيم الخبير • وهو الذى خلق السموات والارض وما بينهما بالحق ، فاياك أن تنادى ميتا وتدعوه لكشف ضر ، أو قضاء حاجة ، فانك بذلك تعطيه من صفة سمع الله ورحمته وقدرته وحياته وقيوميته ، وانك بذلك تعطيه ما هو حق الله وحده من العبادة فتكون من أظلم الظالمين لنفسك (ان الشرك لظلم عظيم) •

وفى الحديث « أظلم الظلم أن تجعل لله ندا وهو خلقك » •

٥ ــ احذر أن تعبد الله الا بما أحب وشرع فى كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم • فان العبادة هى حق الله ، وهى السبيل الى مرضاة الله ، ولا طريق الى معرفتها الا من قبل الله صاحب الحق فيها ، وهو الذى يهديك بها للوصول اليه ، فان أى حق للغير فى عنقك لا تبرأ ذمتك منه الا بأدائه على الوجه الذى سجل فى مستنده بهيئته وصفته ، وقدره وميعاده ، وليس لحق الله مستند صحيح معتمد عنده وعند كل مؤمن به : الا كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم •

٦ ــ احذر ما يخدعك به الشيطان من مستندات مزورة على الله يزخرفها لك باسم البدع الحسنة ، ويسوقها لك على لسان فلان وفلان ، وفى صورة الكثرة والجمهور والشيوخ ، فانها شرع لم يأذن به الله ، والقول على الله بلا علم وافتراء الكذب عليه (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام ؟ والله لا يهدى القوم الظالمين)، وفى الحديث « واياكم ومحدثات الامور ، فان كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » وفيه « تركتكم على الحنيفية البيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها الا هالك » •

محمد حامد الفقى

من أحسن ما قرأت

أوصيك ونفسي

فقرات من وصايا فضيلة الشيخ محمد حامد الفقي

مؤسس جماعة أنصار السنة المحمدية

رحمه الله

— ٢ —

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على امام المهتدين وعلى آله وبعد ، فان كنت تريد فلاح الدنيا والآخرة فأوصيك ونفسي :

١ ــ زك نفسك من قذارة الجهل والهوى والشهوات ، وطهر قلبك من حظ الشيطان ونزغاته ، بتلاوة القرآن حق تلاوته ، متدبرا لآياته فاهما لمعانيه ومقاصده ، مهتديا بهداه ، فان الله يقول فيه (هدى للمتقين) (هدى ورحمة وبشرى للمسلمين) (وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ، ويهديهم الى صراط مستقيم) (يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ، ولا يزيد الظالمين الا خسارا) (فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى • ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامة أعمى) (كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب) •

٢ ــ احذر التقليد الأعمى فى أى عمل من أعمالك الدينية أو الدنيوية، فان التقليد الاعمى هو الذى جعل العبادات صورا آلية ميتة ، لا تهذب

النفوس ، ولا تزكى القلوب ، ولا تحيى ميت الارواح ، فأغلقت دونها أبواب قبول الرب سبحانه •

فكانت « لا اله الا الله محمد رسول الله » حروفا وألفاظا تلاك باللسان ، بلا تعقل ولا فهم ولا معرفة لمقتضاها ، فهدمتها العقائد الشركية والاعمال الجاهلية ، والتحاكم الى الطاغوت ، والاعراض التام عن كتاب الله وهدى رسوله والتأسى به : باتخاذ مئات الشيوخ والمتبوعين والمقلدين ، حتى أصبحوا على شرائع شتى وملل مختلفة ، وعادوا مختلفين فى الدين مخالفين للدين ، فرقوا دينهم وكانوا شيعا وأحزابا (كل حزب بما لديهم فرحون) •

وكانت الصلاة حركات تقليدية باللسان والجوارح ، لا تمس القلب ولا الاعمال ولا الاخلاق ؛ فلم تغسل القلب ولم تزك النفس ، ولم تأمر بمعروف ولم تنه عن فاحشة ولا منكر ، ولم تدع الى بر ولا احسان ولا صلة ما أمر الله به أن يوصل •

وكان الصيام جوعا وظمأ وتعذيبا للصائم وشقاء فى المبدأ والغاية، فلم يتعلم الصائم صبرا ، ولم يستفد قوة عزيمة ولا سعة صدر ولا جميل حلم ، بما هو عدة النجاح فى الحياة يتقى بها ويدفع عن نفسه كل ما كره• وهو الذى دعاه الله اليه بالصيام فى قوله : (لعلكم تتقون) أى تكسبون بالمران فى الصيام كل أسباب القوة على اتقاء ما تخافون فى الدنيا والآخرة • لكن الصيام التقليدى لا يكسب شيئا من ذلك ، فلم ينه عن قول الزور والعمل به ، بل دعا أكثر الصائمين الى شغل أوقات الصيام باللهو والخمول والكسل والتعطل ، والفسوق والعصيان باسم تسلية رمضان •

وكانت الصدقات مغرما ، لا يبذل قرش الا رياء وسمعة ، أو تقربا وزلفى لمخلوق يرجوه ويخافه •

وكان ذكر الله سخرية ولعبا ورقصا وزمرا ، وكان القضاء والحكم ظلما وعبثا ، وكانت الزوجة شقاء ونكدا ، والاخوة عداوة وبغيا وحسدا • كل ذلك وغيره نتيجة التقليد الاعمى فى الدين •

أما التقليد الاعمى فى بقية الاعمال : فمحا شخصيتك وأفناها فى غيرك ، حتى كنت فى كل ما تتناول من شئونك طفلا أخرق ، لا تزال تشعر بحاجتك الى من يسندك ويأخذ بيدك ويرفعك ، ثم يسوقك ويدفعك ، فتضيع عليك بذلك أكثر فرص الحياة ان لم تضع عليك كلها ، فتعيش دائما كئيبا حزينا •

ومن النتائج الوخيمة لهذا التقليد الاعمى : أنك أخذت فسوق أوروبا الكافرة مؤمنا بها ، حتى غشتك فى بيتك ومسجدك وعملك وخلقك، وأخيرا تغلبت على دينك ، فمحت وجودك الشرقى العربى الاسلامى ، وأصبحت بها رجلا فى ربيك ، طفلا فى تفكيرك وعقلك وعملك ، تعتقد أنك بأشد الحاجة الى من يحضنك ويكفلك ، فتلقتك يد العدو ، زاعمة لك ــ لطفولتك وسفاهتك ــ أنها كفيلة بتربيتك وتعليمك وتهيئتك للحياة• فطوقت عنقك بمخالبها وأنيابها ، واعتصرت خيرك لنفسها ، واستنفدت قواك وعناصر حياتك كلها ، حتى أصبحت لا تستطيع أن تجابه شئون الحياة فى شجاعة ولا قوة الانسان المسلم الذى يمشى سويا على صراط مستقيم •

محمد حامد الفقى

عن شهر بن حوشب قال : قلت لام سلمة رضى الله عنها : يا أم المؤمنين : ما كان أكثر دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان عندك ؟ قالت : كان أكثر دعائه : يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك •

رواه الترمذى وقال حديث حسن

أوصيك ونفسي

فقرات من وصايا فضيلة الشيخ محمد حامد الفقي

مؤسس جماعة أنصار السنة المحمدية

رحمه الله

(٣)

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على امام المهتدين وعلى آله وبعد ، فان كنت تريد فلاح الدنيا والآخرة فأوصيك ونفسى أن تأخذ نفسك بكل حزم وقوة على أن تكون محسنا فى كل عمل من أعمالك بعزيمة ثابتة ، وقصد صحيح ، ونية صادقة من لب سليم ، وقلب قد ربط الله عليه بالعلم الصحيح النافع ، والهدى الواضح ، والايمان الصادق ، فان ذلك سيدعوك الى أن تعرف مقامات العمل وأسباب صحته وبطلانه ، وما يستدعيه ويدعو اليه ، وسبيله الذى يصل بك الى الغاية التى تعمل هذا من أجلها ، فيتجدد العمل فى نفسك ، وتكون له صورة واضحة فى ذهنك غير ملتبسة ولا مختلطة بغيرها ، فلا تتدافع الاعمال فى نفسك ولا تتزاحم ، فيفسد بعضها بعضا ، وتخرج منها جميعها بغير نتيجة ولا عمل ، وبذلك يتحقق لك النجاح والفلاح فى كل عمل ، ويعطيك الله ثمرته الطيبة ، وذلك هو معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (انما الأعمال بالنيات) .

فالاعمال المرضية — من صلاة وزكاة وصوم وحج ، وبر وصلة واحسان ونحوها — ينبغى ألا تدخل فيها الا بعد التهيؤ لها بصفاتها وشروط صحتها ، وبكل ما تستدعيه هذه العبادات من شرط حسى ومعنوى ،

ولا سبيل لك الى ذلك الا من كتاب الله وهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاذا ورد قلبك هذا المنهل العذب من العلم النافع : أقبلت على العبادة بقلب سليم يقظ ، ونفس محتاجة فقيرة أشد الحاجة والفقر الى ما فى هذه العبادة من رضوان الله واصلاح لها ، وعلاج لامراض قلبك ، ودواء لمجتمعك من كل ما تشكو منه ، ثم ادخل فى العمل وقد اتصلت نفسك به وامتزجت كل الامتزاج ، بحيث لا يكون فى ذهنك سواه ، حتى كأنك خلقت الآن لهذا العمل ، وأنت ميت بعده مباشرة ، وأنه هو الذى ستلقى به ربك ، ولا تزال كذلك حتى تتم عملك ، فتجد ان شاء الله : أن ربك قد غرس فى جنة قلبك شجرة مباركة طيبة يثبت أصلها فى قلبك وتذهب فروعها فى السماء ، فتؤتيك أكلها فى كل حين باذن ربها : من زيادة ايمان وهدى ، وزيادة علم بربك وحب وخشية لربك ، وتقدير وشكر لنعم ربك ، وينفعك كل ذلك فى كل شأنك مع أهلك واخوانك وفى عبادتك المستقبلة ، فلا تزال تزداد ايمانا وهدى وحبا وكرامة ، ورفعة على معارج الكمال الانسانى والكمال الدينى •

وهكذا الشأن فى عملك الدنيوى ، اعرف مقدماته ومبدأه وسبيله وغايته ، وأقبل عليه بعزم صادق وروية وحكمة وسداد ، مؤمنا بسنة ربك فى التدرج ، فانه الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ، ولو شاء لخلقها فى طرفة عين ، فاعرف ذلك جيدا ، وخذ سبيلك فى كل عملك على هداه ، بحيث لا تنتقل من خطوة الى أخرى الا اذا ثبت قدم علمك وعقلك وتقديرك فى الاولى ، وعرفت موضع خطوك فى الثانية كذلك ، وهكذا ، فانك بذلك تبلغ الغاية التى تسعى اليها على هدى ورشد ، وتنال الفلاح فى دنياك وآخرتك •

ومن هذا تعرف السر فى خسران أكثر الناس وحبوط أعمالهم الدينية والدنيوية ، لانهم يدخلون فى أعمالهم على غير هدى ، ولا علم ، فيدعوهم جهلهم وضلالهم أن يدخلوها بغير عزيمة ولا صدق نية ، ولا حكمة ولا رشد ، ويخدعون أنفسهم بأن قولهم « نويت الوضوء » ، « نويت صلاة كذا » ، « نويت الصيام » نية نافعة ، لانهم اعتقدوا بتقليدهم : أن الغرض منها اعلام الله بأنهم يصلون له أو يصومون ،

وجهلوا حقيقتها وحكمتها والغرض منها ، لأنهم مقلدون ، موتى القلوب، فلو حطموا عن أعماق قلوبهم أغلال التقليد لخرجت نشطة قوية الى ميدان العلم الفسيح من سنن الله وآياته ، وهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واذن لعلموا أن هذه النية هى وصدق العزيمة فى الدخول فى العمل انما لزمت لكل عامل ليجرد عمله ويتقنه بالعلم وباليقظة والتأثر والاصطباغ به ، والانتفاع منه ، ولا يكون ذلك الا بمعرفة المقدمات والمبدأ والسبيل والغاية والاتصال الروحى والعقلى بالعمل أتم اتصال ، حتى يعرف نقصه وعيبه المؤدى الى عكس الغاية ، فيتداركه أثناء العمل، أو فى العمل الآخر ، وعندئذ يشعر العامل أن عمله لخير نفسه هو ، وللمزيد من أسباب الحياة الطيبة له هو ، فأما الله فهو غنى عن العالمين (ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم ، وان أسأتم فلها) ، (من عمل صالحا فلنفسه ، ومن أساء فعليها) ، (ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه) ، (قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها) .

محمد حامد الفقى

استنكار

تستنكر جماعة أنصار السنة المحمدية — وقد اعتصرها الاسى والالم — جريمة خطف وقتل فضيلة الشيخ الدكتور محمد حسين الذهبى، وكذلك جميع الاعمال التى قامت بها جماعة التكفير والهجرة المارقة من الدين .

وان الاسلام الذى ينادى بالعزة والكرامة للانسان وينادى بحرية الرأى والفكر لا يؤيد الاجرام وسفك الدماء .

هؤلاء الذين ينتسبون للاسلام ... ألم يقرأوا قول الله عز وجل (ومن يقتل مؤمنا متعمدا مجزاؤه جهنم خالدا فيها) ؟ ألم يقرأوا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) ؟

فاتحة الكتاب

بقلم : فضيلة الشيخ محمد حامد الفقى رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمد لله رب العالمين. الرحمن الرحيم. مالك يوم الدين. إياك نعبد وإياك نستعين. اهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين).

هذه السورة هى أم القرآن الكريم، التى جمع فيها كل مقاصد القرآن، وأجمل معانيه فى تلك الآيات السبع المثانى، بالأسلوب المعجز، واللفظ الموجز، والقول السلس الذى لا يحتاج إلى كثير معاناة بحث، ولا يستدعى عميق فهم وعويص تفكير، فهى نموذج القرآن الذى يرسم أسسه وحقائقه فى كل نفس، ويصور معانيه فى كل قلب: العلماء والدهماء على اختلاف منازلهم، وتباين درجاتهم، إذا ما لفتوا أفهامهم بعض اللفت، ووجهوا قلوبهم نوع توجيه آتتهم هذه الفاتحة المباركة ذلك النموذج القرآنى، وتلك الصورة الحقة لمقاصد الكتاب الحكيم.

ومن ثم فرض الله قراءتها فى كل ركعة من الصلوات المتكررة بكرة وعشياً، وطرفى النهار وزلفاً من الليل، يقرؤها خاشعاً قانتاً، فى موقف الذل والضراعة، ويناجى ربه بتلك الكلمات القليلات العدد العظيمات القدر، الكثيرات الخير والبركات، فيذوق فيها من لذة القرآن، ويشهد من أنواره ما يدفعه بقوة إلى استجلاء تفاصيل جمل الخيرات واقتطاف ثمار فرع تلك الأصول الناميات المباركات، وكلما قرأت فاتحة الكتاب وجدت من ورائها ذلك الدافع يدفعك لقراءة غيرها من بناتها مما يفصل مواضيعها ويشرح حكمها من سور القرآن الأخرى.

ثم هى مشعرة قلب تاليها متدبراً خاشعاً أصول لذة السعادة الإسلامية، وغارسة فى نفسه شجرة الإيمان الوارفة الظليلة فيجد عنده أقوى باعث نفسى وجدانى إلى الاستزادة من تلك السعادة، والاعتناء التام بتلك الشجرة التى لا يجد نعيم العيش إلا فى ظلها، ولا يعرف طعم نعيم الحياة إلا فى ثمارها، فهو أبداً يحرص على سقيها بماء القرآن العذب الذى يزيدها فى قلبه تأصلا، وفى ظلها امتداداً، وفى ثمراتها كثرة (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون)

ومن فقه الفاتحة وتدبرها حق التدبر، تفتحت له منها أبواب من العلوم وافرة، وتفجر له من كلماتها بحار من المعارف زاخرة، وبان له أتم البيان حكمة تحتمها فى كل ركعة من ركعات الصلاة: قراءة بنفسه، أو إصغاء لإمامه، ملقياً إليها قلبه وهو شهيد، وياحسرة على الغافلين الذين يسارعون فى قراءتها إسراعاً بلا تدبر ولا ترتيل: كم حرموا من تلك العلوم، وكم فاتهم من خيرات القرآن وهدايته؟ وكم سيكون ندمهم فى القريب العاجل ولا ينفعهم؟

روى البخارى فى أبواب التفسير عن أبى سعيد بن المعلى قال: كنت أصلى فى المسجد فدعانى رسول الله ﷺ، فلم أجبه. فقلت: يارسول الله إنى كنت أصلى، فقال: ألم يقل الله (استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم؟) ثم قال لى "لأعلمنك سورة هى أعظم السور فى القرآن. وفى رواية: لأعلمنك أعظم سورة فى القرآن. وفى حديث أبى هريرة: أتحب أن أعلمك سورة لم ينزل فى التوراة ولا فى الإنجيل ولا فى الزبور ولا فى القرآن مثلها - قبل أن تخرج من المسجد؟ ثم أخذ بيدى، فلما أراد أن يخرج قلت له: ألم تقل: لأعلمنك سورة هى أعظم سورة فى القرآن؟ قال "الحمد لله رب العالمين، هى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيته".

وسميت "مثانى" لأنها تثنى بالقراءة، وتكرر فى كل صلاة، ولأن ما يجد قارئها فيها من لذة ومتعة يدعوه للعودة إلى تثنيتها. وتثنية الحبل: تكرير فتله، أو سميت مثانى لأنها استثنيت لهذه الأمة، فخصت بها دون غيرها من السابقين.

وروى الإمام أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ "قال الله عز وجل: قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأل: فإذا قال العبد (الحمد لله رب العالمين) قال الله: حمدنى عبدى. فإذا قال (الرحمن الرحيم) قال الله: أثنى علىّ عبدى، فإذا قال(مالك يوم الدين) قال الله: مجدنى عبدى. وقال مرة فوض إلى عبدى. وإذا قال (إياك نعبد وإياك نستعين) قال: هذه بينى وبين عبدى، ولعبدى ما سأل. فإذا قال: (اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) قال: هذه لعبدى ولعبدى ما سأل".

وفى الأسماء الحسنى (الله، ورب، والرحمن) التعريف بالمعبود سبحانه وتعالى، لأن تلك الثلاثة الأسماء هى مرجع أسماء الله الحسنى وصفاته العليا. وفى (إياك نعبد) إخلاص حق الإلهية بإخلاص العبادة له وحده، وفى (إياك نستعين) حق الربوبية بطلب المعونة منه سبحانه، إذ لا يقدر عليها سواه، وطلب الهداية إلى الصراط المستقيم مبناه على صفة الرحمة، والحمد يتضمن تلك الأمور الثلاثة. فالله المحمود فى إلهيته وربوبيته ورحمته، والثناء والمجد كمالان لجده.

وفى قوله (مالك يوم الدين) إثبات المعاد وجزاء العباد على حسناتهم وسيئاتهم، وأنه هو المتفرد بالحكم والفصل فى ذلك، وحكمه العدل فلا تظلم نفس شيئاً.

وتضمنت هذه السورة إثبات النبوات. فإنه لا يليق برب العالمين وسيدهم ومالكهم ومدبرهم أن يترك الإنسان سدى، لا يعرفه ما ينفعه فى معاشه ومعاده، وما يضره فى دنياه وآخرته، وهذا من أمحل المحال. والمألوه الذى لا يرضى إلا إفراده وتخصيصه بالعبادة لا سبيل لعابديه أن يؤدوا حق ألوهيته على وجهها الذى لا يرضيه إلا من طريق العلم عنه بما يحب لنفسه وما يحب لعابديه، وذلك لا يكون إلا بواسطة رسله، ومن أعطى اسم الرحمن حقه عرف أنه متضمن لإرسال الرسل وإنزال الكتب أعظم من تضمنه لإنزال الغيث، وإنبات الكلأ وإخراج الحب، فإن اقتضاء الرحمة لما يحيى القلوب والأرواح

أعظم من اقتضائها لما يحيى الأبدان والأشباح، لكنْ المحجوبون أدركوا من هذا الاسم حظ البهائم والدواب، وأدرك منه أولو الألباب أمراً وراء ذلك.

والرب الذى يدين العباد على أعمالهم، فيجزى المحسن بإحسانه والمسىء بإساءته، لا بد أن يقيم برسله حجته للمحسنين، ويقطع بهم معاذير المسيئين.

والهداية: هى البيان والدلالة، ثم التوفيق والإلهام، ولا سبيل إلى الدلالة والبيان إلا من جهة الرسل، الذين هم سفراء الله إلى خلقه، وأمناؤه على دينه.

وهما هدايتان مستقلتان، لا يحصل للعبد شىء من الفلاح إلا بهما مجتمعين، إذ بالدلالة نعرف الحق تفصيلا وإجمالا، فلا يختلط علينا بالباطل، ولا يستطيع شياطين الإنس والجن أن يلبسوا علينا أمرنا، ولا أن يزيغونا عن الصراط المستقيم. وبهداية التوفيق نتبع الحق ظاهراً وباطناً ونحبه، ونرضى به، ونؤثره على الباطل.

والمؤمن يعلم عن يقين صادق شدة حاجته إلى هاتين الهدايتين، وفقره إليهما فى كل أدواره وأطواره، فكم من حق يجهله، وكم من صالح لا يبادر إليه، بل يتهاون عنه ويتكاسل، وكم من عجز يقعده إذا هو نشط وأراد: كم من كل هذا كثير، فإن لم تكن لنا من الله هداية إرشاد وتوفيق ومعونة فويل لنا من أنفسنا وشرورها، وويل لنا من أعمالنا وسيئاتها، وإن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، فالزم موضع الذل ومقام الحاجة، وسله أبداً من كل قلبك ونفسك، وبكل ذرة فيك: هداية تقيم لك معالم الحق وتدلك عليه غير ملتبس. وهداية تثبت قلبك على ما يحب ربك ويرضى من هذا الحق الذى هو دين الإسلام.

ولما كان طالب الصراط المستقيم يطلب أمراً كثر الناكبون عنه أعظم كثرة، وعز الراغبون فيه غاية العزة، وندروا أشد الندرة، وكانت النفوس مجبولة على وحشة التفرد، وعلى الأنس بالرفيق، نبه الله سبحانه على كرم الرفيق فى هذا الطريق، وأنه وإن قل فهو خير من ملء الأرض من غيره، والعاقل لا يرغب إلا فى النفيس الكريم، ولا يرضى بالغثاء والزبد وإن كثر.

وإن أعداء الله سيختطون من حول الصراط المستقيم وعلى جنبتيه خطوطاً يدعون إليها، ويرغبون فيها بشتى المرغبات، ومن أعظمها عندهم: السواد الأعظم والجمهور، وأكثر الناس، والآباء والأجداد، والسادة والقادة والرؤساء. كل هؤلاء سيرغب بها دعاة الطرق الضالة إلى طرقهم، زائدين على ذلك التنفير من الصراط المستقيم بكل ما استطاعوا. ومن منفراتهم: ليس عليه إلا القليل النادر، وهؤلاء شذاذ، وهم مخالفون لما عليه الجمهور، وهم خارجون على السواد الأعظم، وهم منقصون للآباء والأجداد والشيوخ والسادة والكبراء.

فلا تأخذنك هذه التهاويل بجعاجعها، ولا تعبأ بتلك الأباطيل وقعاقعها، فما هي إلا طبل فارغ وكلام أجوف، وما هي إلا سراب بقيعة وغبار تذروه رياح الحق، وغثاء تحرقه أنوار القرآن. وامض قدما في صراطك المستقيم، مؤتنساً في غربتك بأولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

ولا تكترث بكثرة الناكبين فهم الأقلون قدراً كما قال بعض السلف: عليك بطريق الحق ولا تستوحش لقلة السالكين. وإياك وطريق الباطل ولا تغتر بكثرة الهالكين، وكلما استوحشت في تفردك فانظر إلى الرفيق السابق واحرص على اللحاق بهم، وغض الطرف عمن سواهم، فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً، وإذا صاحوا بك في طريق سيرك فلا تلتفت إليهم فإنك متى التفت إليهم أخذوك وعاقوك.

ولما كان أحب العبادة إلى الله هو الدعاء كما جاء في الحديث "الدعاء مخ العبادة" وكان الشيطان قد أغوى الناس بجعل هذه العبادة لغير الله الذي لا يستحقها غيره، وزين لهم ذلك بالتوسلات الباطلة التي أدت بهم إلى أعظم ما يغضب الله من الشرك، فقد حمى الله عباده من كيد الشيطان وإزاغته بما علمهم من الوسائل النافعة: من عبادته والتقرب إليه بما يحب من ذكره والثناء عليه بما هو أهله.

ولما كان أسنى المطالب وأجلها هو سؤال الله الهداية إلى الصراط المستقيم، ونيله هو أشرف المواهب، فقد علّم الله سبحانه وتعالى عباده كيف

يسألونه ذلك، ورسم لهم أجمل خطة وأحبها إليه – فى سورة الفاتحة: أن يقدموا بين يدى سؤالهم حمد ربهم والثناء عليه بما هو أهله، وتمجيده والتفويض إليه، ثم اعترافهم التام بالعبودية والذلة، والخضوع والخشوع له وحده، والفقر والحاجة المطلقة إلى غناه المطلق، والبراءة كل البراءة من حولهم وقوتهم والتنصل منهما إلى حول الله وقوته.

فهاتان هما الوسيلتان إلى كل مطلوب، وهما أحب ما يحبه الله تعالى، إذ جعل ذلك دينا لنا فى صباحنا ومسائنا وجميع أوقاتنا بهذه الفاتحة، فالوسيلة الأولى بأسمائه الدالة على عظمته وجلاله وكبريائه، وفضله ورحمته، وكرمه وعطائه، والثانية بفقر العبد إلى ربه ومسكنته. هاتان الوسيلتان لا يكاد يرد معهما دعاء. ومثل هذا ما روى الإمام أحمد والترمذى وابن حبان عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال "سمع النبى ﷺ رجلا يدعو ويقول: اللهم إنى أسألك بأنى أشهد أنك الله الذى لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذى لم يولد ولم يكن له كفواً أحد. فقال: والذى نفسى بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذى إذا دعى به أجاب، وإذا سئل به أعطى" قال الترمذى: حديث صحيح. فهذا توسل إلى الله بتوحيده، وشهادة الداعى له بهذه الوحدانية، وثبوت صفاته المدلول عليها باسم " الصمد" وهو العالم الذى كمل عمله، والقادر الذى كملت قدرته، والسيد الذى قد كمل فيه جميع السؤدد، والملاذ الذى تفزع إليه كل القلوب، وتقصده وتتوسل إليه بتنزيهه عن التشبيه والمثيل، وأنه الذى (لم يكن له كفواً أحد) وهذه ترجمة عقيدة أهل السنة. والتوسل بالإيمان بذلك والشهادة به هو الاسم الأعظم، أى الآعظم فى الثناء على الله، والأكثر فى ذكر الله.

ومن هذا ما روى البخارى فى صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ كان إذا قام يصلى من الليل قال " اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق، ووعدك الحق ولقاؤك حق، والجنة حق والنار حق، والنبيون حق، والساعة حق، ومحمد حق، اللهم لك أسلمت وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت وإليك حاكمت، فاغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت، أنت إلهى لا إله إلا أنت".

البقيـــة صفحـــة (٤٥)

ومما يتعلق به الناس فى بلادنا فى هذه الأيام ما يسمى (بالحظاظة) وهى عبارة عن حلقة من البلاستيك يلبسها المرء فى يده (معصمه) مخافة الحسد أو المرض. وفى مثل ذلك حدث أن رسول الله ﷺ رأى رجلا فى يده حلقة فقال ما هذه؟ قال من الواهنة (من المرض) .. فقال انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنا، فإنك لو مت وهى عليك (فى يدك) ما أفلحت أبدا] وذلك لأنها من الشرك .

والحسد يعنى تمنى زوال النعمة لدى المحسود. فمن أراد أن يتقى الحسد فعليه بما بينه النبى ﷺ فى ذلك كقراءة المعوذتين (قل أعوذ برب الفلق) و (قل أعوذ برب الناس) أو بقول (ما شاء الله لا قوة إلا بالله) أما الرقى – جمع رقية – فهى نوعان: نوع فيه شرك كأن يستغاث بالملائكة أو الجن، والنوع الآخر رخص فيه رسول الله ﷺ بقراءة الفاتحة أو بما صح عنه صلوات الله وسلامه عليه مثل قوله : (أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة) وذلك بدون إطلاق البخور كما يفعل الجاهليون، وأن يعتقد أن الرقية بذاتها لا تؤثر بل بتقدير الله تعالى .

اللهم اهدنا سبل السلام .

رجب خليل

بقية مقال (فاتحة الكتاب)

فذكر التوسل إليه بحمده والثناء عليه، وبعبوديته، ثم سأله المغفرة. وخير الهدى هدى محمد ﷺ.

هذه صراط الله المستقيم فى الدعاء الذى هو مخ العبادة رأيته فى سورة الفاتحة، وفى هذين الحديثين. وفى القرآن كثير من حكاية دعاء الأنبياء وعباد الله الصالحين ودعاء الملائكة. وفى السنة الكثير الطيب من الأدعية النبوية التى هى خير الهدى فى الدعاء والدين كله، لا تجد فى شىء من كل ذلك إلا التوسل إلى الله بما يحب من أسمائه وصفاته، والعمل الصالح من صلاة وصدقة وذكر وما إلى ذلك.

محمد حامد الفقى

كلمة التحرير

بقلم/ فضيلة الشيخ
محمد حامد الفقي
(الرئيس العام السابق)
(رحمه الله)

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ . فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ . وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ . فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ . شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِي أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ ٱلْهُدَى وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ [**البقرة : ١٨٣ - ١٨٥**] .

ما أوحى الله تعالى بالشرائع إلى من يصطفيهم من أنبيائه في مختلف العصور ، وما أنزل من أحكام وعبادات في تلك الشرائع الإلهية ،إلا لإصلاح الإنسان وتزكية نفسه وتطهيرها ، مما يحاول الشيطان أن يكدرها به من وساوس ومفاتن ؛ وما يزينه لها من فسوق وعصيان ، كلما ازدادت منه واستحبته كلما ارتكست في مهاوي السفال الحيواني وتلطخت في حمأة الشيطانية النجسة الرجسة .

وكلما تطهرت منها ، وتأصلت فيها كراهيتها ، وامتزجت بذراتها محبة الله ومحبة طاعته ، وقامت له سبحانه على قدم العبودية وأخلصت له ذل الخضوع ، وصدقت في رهبة الخشوع ، كلما ارتفعت في معارج الكمال ؛

وارتفعت إلى درجات الحياة الهنيئة والعيش الرغد في الحياة الدنيا ؛ ولتحظى يوم القيامة بمقام الأبرار .

وما كمال الإنسان إلا بغلبة روحانيته العاقلة على حيوانيته الجاهلة ، وقهر معنويته الحكيمة لماديته السفيهة الطائشة ؛ وسيطرة قلبه الصالح ، ونفسه المطمئنة على شهواته الجامحة ونفسه الأمارة .

تلك هي الكمالات الإنسانية ؛ وما تكون هذه الكمالات ولا شيء منها إلا من غراس النبوة ، وما نماؤها

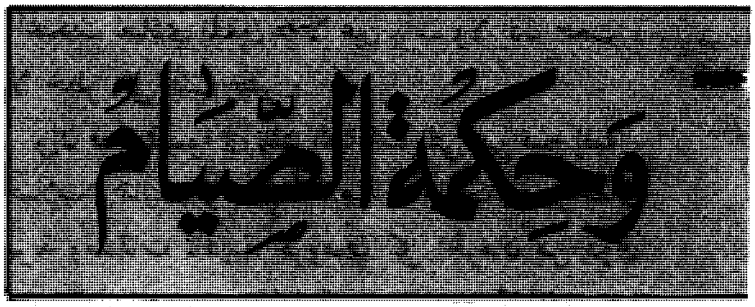

وامتداد ظلها . وكثرة ثمارها إلا بسقيها من ماء العلم الإلهي الذي ينزل من السماء صافيًا على أرض القلوب فتهتز وتربو ، وتخرج من كل الثمرات الطيبات المباركات ما به سعادة الإنسانية ، وفلاحها في دنياها وآخرتها في الفرد والأسرة والجماعة والأمة ، وفي القرون والأجيال يبقى نورها مشعًّا للناس يقتبسون منه ويستمر شذاها عبقًا يفوح عبيره لكل مستمتع ، وصوتها غردًا في أذن كل محب صدق في حبه إذ عرف أن مكانة القلب الرفيعة لا يليق أن يتبوأها إلا محبة الله ومحبة ما يحبه الله من قول وعمل وهدى وسمت ، وخلق وصفة ، وظاهر وباطن

كلمة التحرير

﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة : ٥] .

جعل الله الرحمن الرحيم من تلك العبادات حبالًا يصل بها قلب عباده المهتدين إلى حضرة قدسه ، ويجذبهم بها إلى رياض قربه ، ليتمتعوا بما مد لهم من موائد فضله العظيم ولينعموا على بساط رحمته بما وهب لهم من أعطياته الواسعة التي لا تساوي الدنيا وأمثالها معها بجانبها عندهم قلامة ظفر ولا دونها ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة : ١٧] « أعددت لعبادي المتقين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » .

وإن قومًا فهموا في تلك العبادات التي هي منح إلهية ، وصلات رحمانية ، ونفحات قدسية : أنها تكاليف وأعمال قهرية ومشقات تأديبية لمحرومون كل الحرمان من ذوق شرابها العذب وورود منهلها النمير ، وبعيدون كل البعد عن اكتناه روحها السامية وعلى بصائرهم غشاوة أن تشهد إشراق هذه النفحات على الأرواح فتسمو بها إلى عليين .

وليست العبادات تكليفًا بل هي تشريف ،ليست العبادات مشقات بل هي نعيم ومسرات ، ولكن أكثر الناس لا يعقلون .

لماذا كانت منحة الصلاة للحبيب ﷺ ليلة عرج به إلى فوق السموات حتى كان قاب قوسين أو أدنى ؟ ذلك لأنه أسعده في هذه الليلة بلذة القرب ؛ ووصله في ساعة القرب بحديث الحبيب إلى حبيبه ، فذاق قلب الرسول ﷺ من تلك اللذة الروحية العليا ، وأشرقت نفسه الكريمة في ذلك الوقت بنور صفوة الصفوة ، وخيرة

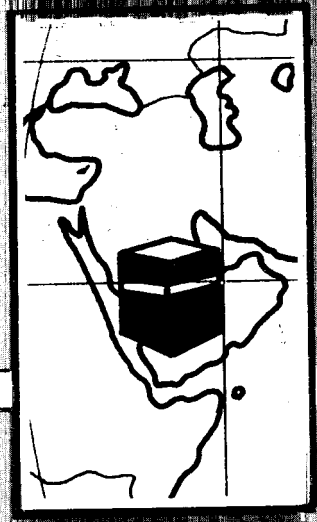

الحيرة ، وسمو ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾ [الإسراء : ١] .

فكان من الصعب على الحبيب ﷺ البعد بعد نعيم القرب ، وكان الله به أرحم من أن يمنعه تلك النعمة بعد أن عرفها وتمتع بروحها ، فمنحه الصلاة لتكون الصلة بين الحبيب وحبيبه كلما اشتاق إلى لذة القرب . ومن ثم قال : « وجعلت قرة عيني في الصلاة » وكان يقول : « يا بلال أرحنا بالصلاة » .

العبد يقبل على ربه ، والله يتكرم بالإقبال على عبده ، العبد يستفتح باب ربه ، والله يتفضل بفتح باب الوصول لعبده ، العبد يكلم ربه بأصدق الحديث وأحب الذكر إليه ، والله يسمع لعبده ويجيب عبده كلمة بكلمة ، ودعوة بإجابة .

وافهم قول النبي ﷺ : « إن العبد إذا قام يصلي فإنه إنما يناجي ربه فلينظر أحدكم من يناجي » والمناجاة : هي الكلام الذي لا يدركه إلا المتحدثان مع بعضهما .

الله أكبر . هذا كله يسمى تكليفًا ؛ ويقال عليه : إنه مشاق تأديبية ...؟ سبحان الله ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وهذا وربِّك شأن العبادات كلها من صيام وغيره .

فاسمع إلى مبدأ خطاب الله في الصيام : ودعوته أحبابه إلى هذا الباب من الجود والرحمة ، يناديهم بأحب الألقاب وأطيب الأسماء ، وأعذبها على قلوبهم ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ وهو مع عذوبته وجماله : خطاب تكرمة وتشريف ، كشأنه في خطاب حبيبه ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ . يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ ﴾ ثم يقول : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

كلمة التحرير

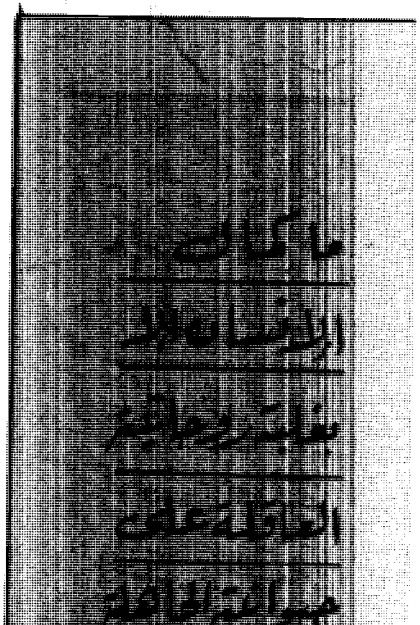

واجمع إلى هذا قول النبي ﷺ : « الصوم جنة » فالجنة : هي الوقاية التي يقي المؤمن بها إيمانه من كل ما يخافه عليه ، فإنه ليس عند المؤمن أعز ولا أغلى من إيمانه . فهو يخاف عليه أشد من خوفه على بصره وسمعه وعافيته في كل جسمه ، فبماذا يقي إيمانه مما يكره ؟ وبما يجن إيمانه ويحفظه مما يخاف ؟ لا يجد لإيمانه وقاية وصيانة إلا من طريق العلم النافع ؛ وليس له علم نافع إلا من القرآن الذي هو الروح ، وهو النور ، وهو الهدى ، وهو الفرقان ، وهو الذكر الحكيم ؛ فيلبس من درع القرآن ، وهداية القرآن وأدب القرآن ومواعظ القرآن ، وشرائع القرآن ما يجن إيمانه ويقيه كل ما يكدره أو ينقصه أو يذهب به : من بذاء اللسان وسفه الأحلام ، والجهل والفسوق والعصيان ، وما إلى ذلك من كل ما يوسوس به أو يزينه شياطين الإنس والجن ، في السر والعلن والظاهر والباطن ، والقلوب والأعمال .

الصوم جنة : لأنه يدخل في حضرة القرب والمراقبة لله والمعية الخاصة من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، ساعات من النهار طويلة يجاهد فيها كل عوامل الشر : من نفس وقرين وشيطان ، وفتن محيطة ، وكلما دعاه من تلك داع ، صاح به : إني مع ربي ، إني مع سيدي ، إني مع مليكي ، إني في رياض القرب ، إني على موائد الفضل . فاذهب عني ، لا تحرمني من ربي ولا تقطعني عن ربي ، ولا تحل بيني وبين ربي أرحم الراحمين : الذي يغذي روحي وقلبي من غذاء رحمته ، ويفيض على نفسي من سحائب فضله وبره . وهذا سر قول النبي ﷺ : « إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني » .

فإذا ما حظيت أيها الصائم بلذة هذا القرب الإلهي ؛

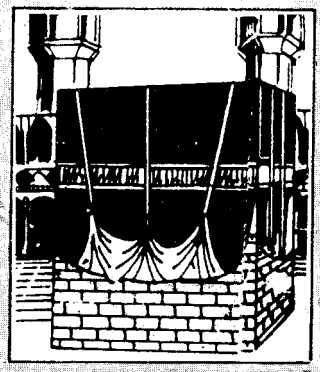

وإذا ما سعدت بنفحة من نفحات « عند ربي » زكت نفسك ؛ واتسع مدى نور قلبك ، وغلبت عليك الحكمة في قولك ؛ وعملك ، وبرئت من مرض السفه والطيش ، والجهل وسوء الأخلاق .

فإذا ما غربت الشمس تبلغت ببعض ما يقيم صلبك إبقاء على وعاء تلك الروح ، وحفظًا لسياج القلب ، ولم ترتع في الأطعمة والأشربة كالحيوان حتى ينتفخ ، ولا يجد للنفَس محلًا .

فإذا ما جاء الليل ونامت أعين الغافلين ، قمت تناجي ربك ، وتتحدث إليه بكلامه المجيد ، ووجدت من صيامك النهار أكبر عون لقلبك الصافي ونفسك الزكية ، على لذة هذه المناجاة وتلاوة آي الذكر الحكيم ، ولقيت من ذلك لذة ، دونها واللَّهِ كل ملاذ الحياة الدنيا ، وشهدت عندئذ سر جعل الصيام في شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، ورأيت من أبواب الفقه والفهم في آيات القرآن ، وقطفت من ثماره الدانية بصفاء نفسك وطهارة قلبك ، وإشعاع روحك ، ما ترى منه العجب العجاب ، وهذا – والله أعلم – سر من أسرار « كان جبريل يدارسني القرآن في رمضان » .

وأن ثمرات القرآن وخيراته الحسان – والله – لا ينالها إلا من غلب صفاء قلوبهم وطهارة نفوسهم على ظلمات حيوانيتهم ، وشهوات بطونهم وفروجهم . والحيوان الشهواني المظلم ما له وللقرآن وهداه ونوره وفرقانه ورحماته ؟ ! أولئك عنها مبعدون ، قلوبهم في أكنة مما يدعو إليه ، وفي آذانهم وقر ، وهو عليهم عمى . نعوذ بالله من ذلك ونسأله العافية .

وهل لك أيها الصائم أن تلحظ سر يتيمة العقد في آي

العبادات

ليست تكليفًا

بل هي تشريف

الصيام ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

تأملها جيدًا ثم ارجع إلى قراءة الآيات من أولها ؛ وقف عند هذه الآية وتمعن فيها كثيرًا ، فإنه سينفتح لك منها سر الصيام ، وتشهد منها حكمة الصيام ، وأنه القرب الحقيقي من الله الذي يقول لك : لا تستصعب الأمر فهو عليك هين ويسير إذا رشدت وهديت ، ولا تعبأ بما يلقى في طريقك من عقبات ، فاقتحمها وأسرع إلى ربك – تلق ربك منك قريبًا .

أقدم إلى ربك على متن ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ وعلى نور ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِي أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ ٱلْهُدَى وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ .

واطرح تحت قدمك تلك الخزعبلات والسفاسف الحيوانية التي طالما حشا بها المحجوبون رأسك ، وسودوا بها صحفهم ، من أن حكمة الصيام أن تتعذب النفس بألم الجوع والظمأ لتحس بحاجة الفقير والمسكين . أف لهذا القول فوالله ما تحس نفس تعرف هذا للصيام إلا إحساس الحيوان الذي يربط في الوتد ويمنع عن الكلأ والمرعى ، فما يكاد يفلت من رباطه حتى يرتع ويرتع ويرتع إلى أن تمتلىء بطنه فيستلقي في غيبوبة من الوخم والبطنة فلا يعي ولا يعقل ؛ ولا يحس بنفسه ولا بفقير ولا مسكين ، وما يزداد بالصيام إلا حيوانية شرسة ، وظلمة فوق ظلمة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

مساكين والله هؤلاء مساكين ، ما فقهوا من الدين ولا من الطاعة شيئًا ، حتى زعموا أن الصلاة وقيام رمضان ما هو إلا حركات رياضية لهضم ما ملأوا به بطونهم من الطعام والشراب ، فكان ذلك عندهم نقرًا وإسراعًا وعبثًا

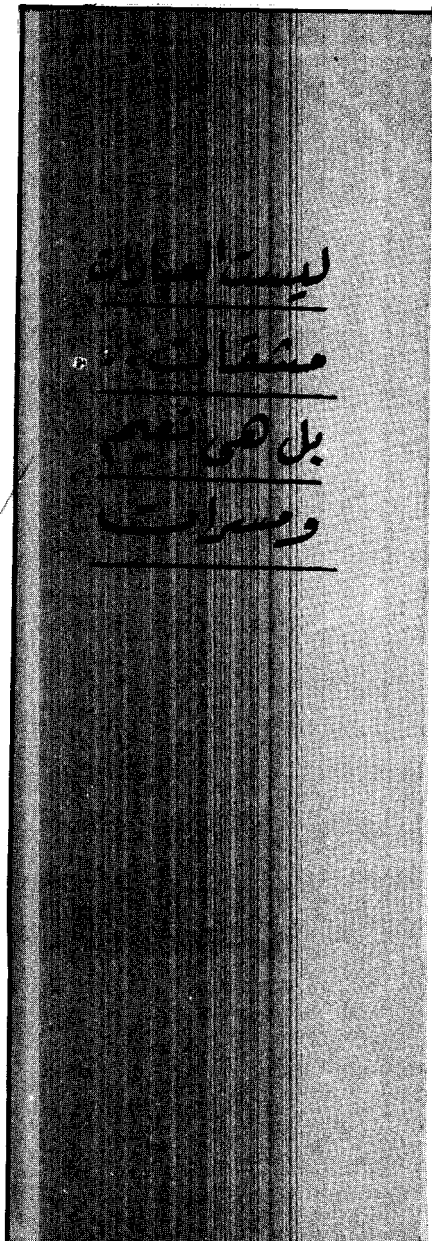

بالصلاة ، ولعبًا بدين الله ، وإنا لله وإنا إليه راجعون . اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون .

وحين استولت على نفوسهم هذه السخافات والجهالات فأكسبتها ظلمات فوق ظلمات ، قالوا في الدين بغير علم ولا هدى ، إذ زعموا أن الصيام مع ترك الصلاة ينفع ، وصور لهم عبثهم وجهلهم : أن هذا فرض وهذا فرض ، وهذا تكليف وهذا تكليف وهذا حظهم من الدين إذ أخذوه من غير أصله ، واستقوه من حثالة الآراء ؛ وغسالة الأفكار .

أما إنهم لو استقوا الدين من منبعه الصافي : القرآن والسنة الصحيحة الطيبة المباركة - لوجدوا أن كل تلك العبادات عقد واحد انتظمت في قلب العبد لتوصله إلى ربه ، وكل منها مرتبط بالأخرى أوثق ارتباط ؛ ومتصل به أتم اتصال ، ومرجعها إلى الصلاة التي يقول فيها الرسول ﷺ : « الصلاة رأس الإسلام » « وعمود الإسلام » « وعلى قدر حظ العبد من الصلاة على قدر حظه من الإسلام . فمن لا حظ له في الصلاة فلا حظ له في الإسلام » وأنها هي أوثق الصلات وأقوى عراها بالله سبحانه . فإذا ما انفرط العقد من عندها فمحال أن ينتظم من أي ناحية سواها أي محال ، مهما حاول ومؤه الذين لا يفهمون إلا ظواهر القول وقشور الكلام .

فيا أيها الذين آمنوا وَثِّقوا رباط قلوبكم بالله حق التوثيق ﴿ حَافِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَاتِ وَٱلصَّلَاةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ [البقرة : ٢٣٨] .

وافتحوا أبواب القرب من الله على مصاريعها في شهركم هذا بالصوم ، وأجنُّوا فيه قلوبكم وإيمانكم بتلاوة القرآن ، والتخلق بخلق القرآن ، والتأدب بأدب الرسول

ليس عند المؤمن أعز من إيمانه.

بقلم فضيلة الشيخ

محمد حامد الفقي

رحمه الله

مؤسس جماعة أنصار السنة ورئيسها الأول

الحج إلى بيت الله الحرام

الحج إلى بيت الله ركن من أركان الإسلام التي بني عليها ؛ لقول رسول الله ﷺ في الحديث المتفق على صحته من رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنهما « بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً » ومعنى ذلك : أن هذه هي أمهات عناصر الإسلام الذي يقول الله تعالى فيه ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ . وأن من أسلم هذا الإسلام وأقام بناء دينه بتحقيق هذه العناصر مخلصاً دينه لله (فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) .

لما كان ذو القعدة من السنة العاشرة من الهجرة أذن رسول الله ﷺ في الناس أنه حاج هذا العام ؛ وبعث رسله يأمر الناس أن يخرجوا للحج ، لأنه يحب أن يلقاهم ويلقنهم جميعاً رسالة ربه شفاهاً . وقد كان كثير منهم أسلموا في قبائلهم وبعثوا وفودهم إلى المدينة ، فعلمهم رسول الله ﷺ الإسلام وعلموا قومهم ، فقدم المدينة كل من استطاع ليخرج في ركاب رسول الله ، ومن بعدت منازلهم خرجوا فلقوه في الطريق ، أو في مكة ؛ ففي اليوم الخامس والعشرين من ذي القعدة صلى الظهر ، وخطب الناس ، ثم خرج إلى ذي الحليفة – آبار علي الآن ؛ على نحو ستة أميال من المدينة وهي من وادي العقيق – فنزل بها وصلى العصر ركعتين ، والمغرب ثلاثاً والعشاء ركعتين ، وبات بها . وكان معه نساؤه التسع رضى الله عنهن ، فطاف عليهن كلهن في هذه الليلة ؛ ثم اغتسل غسلاً واحداً ثم صلى الصبح ثم طيبته عائشة بذريرة وطيب فيه مسك استمر ثلاثة أيام يرى وبيصه في رأسه وهو محرم . ثم لبد رأسه بنحو صابون وقلد بُدنه نعلين وأشعرها فشق جانبها الأيمن وسلت الدم عنها بيده ؛ وجاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه ؛ فأخبره ﷺ أن زوجته أسماء بنت عميس قد ولدت بذي الحليفة محمد بن أبي بكر ، فأمره أن يأمرها أن تغتسل وتترجل ثم تهل بالحج وتصنع ما يصنع الحاج إلا أنها لا تطوف بالبيت . ثم تجرد من ثيابه ثم لف إزاره على نصفه الأسفل ورداءه على نصفه الأعلى[1] ثم صلى الظهر وأهل فقال « لبيك اللهم حجاً وعمرة . لبيك اللهم . لبيك لا شريك لك لبيك . إن الحمد والنعمة لك ، والملك لا شريك لك » ولم يقل نويت كما يفعله الجاهلون فذلك ليس من الإسلام في أي عبادة لا صلاة ولا حج ولا طواف ولا غيره . فأهل بمثل ذلك الذين سمعوه ، ثم ركب راحلته فأهل كذلك ، فلما استقلت به على الطريق وأشرف على الناس أهل أيضاً وأخبر أن جبريل أتاه فأمره أن يأمر أصحابه أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية ، وكان إذا لقي ركباً أو علا شرفاً أو هبط وادياً لبى ، وفي أدبار المكتوبات وأواخر الليل . ولم يزل

كذلك يلبي . وكان على ناقته رحل رث عليه قطيفة لا تساوي أربعة دراهم . وأخذ الناس يلبون بمثل تلبية رسول الله ﷺ . وفي رواية أنه كان يزيد « لبيك إلٰه الحق لبيك » وقال جابر « ونظرت مد بصري بين يدي رسول الله ﷺ من راكب وماش وعن يمينه مثل ذلك وعن يساره مثل ذلك ومن خلفه مثل ذلك ورسول الله ﷺ بين أظهرنا وعليه ينزل القرآن وهو يعرف تأويله : وما عمل من شيء عملنا به »[1] .

ثم تمادى رسول الله ﷺ حتى إذا كان بالروحاء رؤى حمار وحش عقير ؛ فذكر لرسول الله ﷺ ذلك فقال : « دعوه فإنه يوشك أن يأتي أصحابه » فجاء البهزي صاحبه فقال : شأنكم بهذا الحمار يا رسول الله . فأمر رسول الله ﷺ أبا بكر فقسمه بين الرفاق . ثم مر في طريقه على ظبي حاقف - نائم - في ظل ، فيه سهم فأمر رجلاً أن يقف عنده لا يريبه أحد حتى يجاوزوه .

وأضل عقبة خادم أبي بكر بعيره الذي عليه زاد رسول الله ﷺ وزاد أبي بكر ، فأخذ أبو بكر يضربه ويقول : بعير واحد تضله ؟ ويحك ، لو لم يكن إلا أنا لهان عليّ الأمر ؛ ولكن رسول الله ﷺ ، ورسول الله ﷺ يقول : « انظروا هذا المحرم ماذا يصنع » ثم وجده صفوان بن المعطل فجاء به حتى أناخه على باب منزل رسول الله ﷺ فلما كان ببعض الطريق اصطاد أبو معاذ حماراً وحشياً - ولم يكن محرماً - فأحله النبي لأصحابه بعد أن سأل « هل أمره أحد منكم أو أشار إليه ؟ قالوا لا . قال فكلوه وأكل منه » فلما كان بسرف دخل على عائشة وقد كانت أهلت بعمرة وحج فوجدها تبكي . فقال « ما يبكيك ؟ لعلك نفست - أي حضت - قالت نعم . فقال هذا شيء كتبه الله على بنات آدم . اغتسلي ثم أهلي بالحج وافعلي ما يفعل الحاج غير ألا تطوفي بالبيت حتى تطهري » .

وفي سرف جاءه جبريل وأمره أن يأمر أصحابه أن من لم يكن معه هدي إن شاء أن يفسخ حجه إلى العمرة ، ومن كان معه هدي فلا . ففي السنن عن الربيع بن سبرة عن أبيه قال : « خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بعسفان قال سراقة بن مالك المدلجي : يا رسول الله اقض لنا قضاء قوم كأنما ولدوا اليوم . فقال : إن الله عز وجل قد أدخل عليكم في حجة عمرة ، فمن تطوف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة فقد حل إلا من كان معه هدي » .

وروى مالك عن عائشة « خرجنا مع رسول الله ﷺ لخمس ليال بقين من ذي القعدة ولا نرى إلا أنه الحج ، فلما دنونا من مكة أمر رسول الله ﷺ من لم يكن معه هدي إذا طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة أن يحل » .

ثم سار رسول الله ﷺ حتى نزل بذي طوى ، وهي المعروفة بآبار الزاهر - الشهداء - فبات بها ليلة الأحد لأربع خلون من ذي الحجة ثم صلى الصبح واغتسل من بئرها ونهض إلى مكة فدخلها من أعلاها - طريق الحجون - ثم سار حتى دخل المسجد ضحى من باب بني شيبة - باب السلام - وروى أنه رفع يديه عند رؤية البيت وكبر وقال « اللهم أنت السلام ومنك السلام ، حينا ربنا بالسلام . اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابة ، وزد مَن حجه أو اعتمره تكريماً وتشريفاً وتعظيماً وبراً » ثم عمد إلى البيت وقد اضطبع فجعل طرف ردائه الأيمن من تحت إبطه الأيمن ووضعه على كتفه الأيسر ، فلما حاذى الحجر الأسود استقبله ثم استلمه - ولم يزاحم عليه ولم يتقدم إلى جهة الركن اليماني ولم يرفع يديه ، ولم يقل : نويت بطوافي هذا الأسبوع كذا وكذا ، ولا افتتحه بالتكبير كما يكبر للصلاة - كما يفعل ذلك كله من لا علم عنده بل هو من البدع المنكرة .

ثم أخذ عن يمينه وجعل البيت عن يساره ، ولم يدع عند الباب بدعاء خاص ولا تحت الميزاب ولا عند ظهر الكعبة ولا أركانها ، ولا وقت الطواف سن ذكراً معيناً لا بعمله

ولا بتعليمه ، بل الذي حفظ عنه فقط أنه كان يقول بين الركن اليماني والأسود « ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » وترك الناس يذكرون ويدعون كل بما يلهمه الله من مناجاته ربه بما في نفسه . وما يفعله الناس اليوم من تلقين صبي المطوف لهم أدعية مخصوصة يكررها الحجاج وراءه محاكاة له كالببغاء : بدعة منكرة وعمل سخيف ، ومضيعة لهذه الفرص الثمينة ، ومرجع ذلك إلى الجهل الشنيع والتقليد الأعمى الذي جعل أصحابه كالأنعام ينعقون بما لا يعقلون .

وأعجب العجب أن ترى شيخاً منسوباً إلى العلم قد قاده طفل لم يبلغ الحلم ويلقنه وهو يحاكيه ، وإذا نصحته قال لك في جرأة ووقاحة : ألم تسمع الحديث : حجوا بأهل مكة وزوروا بأهل المدينة . فويل للناس من هذا الجهل الفاضح والتقليد الأعمى الذي جرأهم أن يكذبوا على رسول الله ﷺ هذا الكلام السمج السخيف .

وَرَمَلَ في الثلاثة الأشواط الأولى وأمرهم به – من الحجر الأسود إلى أن حاذى الركن الشامي الذي يحاذي الركن اليماني من ظهر الكعبة فسار سيراً اعتيادياً[1] ومشى في الأربعة الأشواط الأخرى كلما حاذى الركن اليماني استلمه ؛ يعني مسحه بيده ولم يقبله . وقال : بسم الله والله أكبر ؛ وكلما حاذى الحجر الأسود قبله – إذا تيسر بدون مزاحمة – أو استلمه بيده أو بعصا أو أشار إليه ، وقال : الله أكبر . ولم يكن يمس من الكعبة إلا الحجر الأسود ؛ والركن اليماني فقط . فالتمسح بغيرهما من جدران الكعبة وأستارها بدعة . وثبت عن الشافعي رحمه الله أنه قال : أستلم ما استلم رسول الله ﷺ وأمسك عما أمسك عنه . اهـ .

وروى مسلم عن عائشة قالت : « طاف رسول الله ﷺ في حجة الوداع حول الكعبة على بعيره ؛ يستلم الركن ، كراهة أن يضرب عنه الناس » وروى مثله عن أبي الطفيل ؛ وكان ذلك لمرضه ﷺ أو ليراه الذين لم يروه . فقد روى مسلم عن جابر « طاف النبي ﷺ في حجة الوداع على راحلته بالبيت وبين الصفا والمروة ليراه الناس وليشرف عليهم » فلما فرغ ﷺ من طوافه بالبيت أتى إلى مقام إبراهيم ، « واتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى » ثم صلى ركعتين قرأ في الأولى ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ بعد الفاتحة . وفي الثانية ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ والناس يمرون من بين يديه لا يمنعهم . ثم أتى الحجر الأسود فاستلمه ؛ ثم خرج إلى الصفا ؛ فلما بلغها قرأ ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ الآية . ثم قال : « أبدأ بما بدأ الله به » وفي رواية « ابدأوا » ثم رقى عليها حتى رأى البيت فاستقبله ووحد الله وكبره وقال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده » ثم دعا وقال مثل ذلك ثلاث مرات . ثم نزل إلى المروة يمشي حتى إذا انصبت قدماه في الوادي – الذي علم عليه بالأعمدة الخضراء من الجهتين – سعى . ثم مشى حتى بلغ المروة فصعد عليها وفعل مثل ما فعل على الصفا . وهكذا حتى أكمل السبع الأشواط بدأها بالصفا وختمها بالمروة . ولم يحفظ عنه في أثناء السعي ذكر خاص ولا دعاء ، لا من فعله ولا من تعليمه الناس . وهو مثل الطواف سواء . ليبقى الإخلاص وتذكر السيدة هاجر التي سن الله لنا هذا السعي اقتداء بها حين ظمئت وطلبت من الله في ذل وضراعة السقيا فاستجاب الله لها بتفجير زمزم .

فلما أكمل ﷺ سعيه عند المروة أمر كل من لا هدى معه أن يفسخ حجه ويتحلل ويجعلها عمرة ، وحتم ذلك ، سواء منهم المفرد والقارن . ففي الصحيحين عن جابر « أهلّ النبي ﷺ بالحج ؛ وليس مع أحد منهم هدي غير النبي ﷺ وطلحة ، وقدم علي من اليمن ومعه هدي فقال : أهللت بما أهل به النبي ﷺ فأمر النبي ﷺ أن يجعلوها عمرة ويطوفوا ويقصروا ويحلوا إلا من كان معه الهدي . قالوا ننطلق إلى منى وذكر أحدنا يقطر – وكانت معهم نساؤهم – فبلغ ذلك النبي ﷺ فقام فينا فقال : لقد علمتم أني أتقاكم لله وأصدقكم وأبركم . ولولا أن معي

الهدي لحللت كما تحلون ، ولو استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي . فحلوا ؛ فأحللنا وسمعنا وأطعنا . فقال سراقة بن مالك : ألعامنا هذا ، أم للأبد ؟ فقال : بل للأبد » وفي لفظ « ثم شبك بين أصابعه وقال : للأبد وأبد الأبد . دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة » وقد روى الأمر بفسخ الحج إلى العمرة أربعة عشر صحابياً ، وأحاديثهم كلها صحاح . وهي صريحة في أنه لا ينبغي لأي قادم إلى مكة أن يحرم من ميقاته إلا متمتعاً بالعمرة إلى الحج إلا لمن يكون قد ساق الهدي معه من بلده . فهذا يقرن كما فعل رسول الله ﷺ أما من يحرم بالحج أو القران ولا يكون معه الهدي فإنه يكون عاصياً لرسول الله ﷺ ومغضباً له . فقد روى أصحاب السنن عن البراء بن عازب « أن رسول الله ﷺ أمرهم لما قدموا مكة - وقد أحرموا بالحج - أن يجعلوها عمرة . فقال الناس : يارسول الله قد أحرمنا بالحج فكيف نجعلها عمرة ؟ فقال : انظروا ما آمركم به فافعلوه ، فرددوا عليه القول ، فغضب ، ثم انطلق حتى دخل على عائشة وهو غضبان ، فرأت الغضب في وجهه فقالت : من أغضبك أغضبه الله . فقال : ومالي لا أغضب وأنا آمر الأمر فلا يتبع » فتحلل الناس كلهم بالحلق أو التقصير ، وقد دعا للمحلقين ثلاث مرات وللمقصرين مرة . وحلوا الحل كله من اللباس والطيب والنساء ؛ حتى زوجات رسول الله ﷺ وابنته فاطمة لأنهن لم يكن معهن هدي ؛ ولم يبق على إحرامه إلا رسول الله ﷺ وعلي ومن كان معه هدي . وأما عائشة فإنها بقيت بإحرامها لأنها كانت حائضاً .

ثم ذهب ﷺ إلى منزله بالأبطح بظاهر مكة - البقعة المحاذية اليوم لقصر الملك - فلبث فيه مدة إقامته بمكة يصلي هناك الصلوات الخمس ، إلى يوم التروية - وهو الثامن من ذي الحجة - وكان يوم الخميس ، فأمرهم فأحرموا من منازلهم بالحج ، ثم أمرهم فخرجوا إلى منى ، ولم يطوفوا بالبيت . فلما وصل إلى منى نزل بها وصلى بها الظهر وبقية الصلوات قصراً ومعه أهل مكة . ثم بات بها - وهو نسك فعله رسول الله ﷺ لا ينبغي أن يضيع ، فلا يدري مضيعه ماذا نقص من حجه وماذا فاته من الاهتداء بهدي رسول الله ﷺ - وكانوا يلبون من وقت إحرامهم التلبية المتقدمة . فلما أصبح اليوم التاسع يوم الجمعة وقد طلعت الشمس سار آخذاً طريق ضب - وهو طريق السيارات اليوم - حتى بلغ نمرة ، فوجد الخيمة التي أمر بها قد ضربت له ، فنزل بها حتى زالت الشمس فأمر القصواء فرحلت فأتى بطن الوادي فخطب الناس وقال : « إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا . ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ، ودماء الجاهلية موضوعة . وإن أول دم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث - كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل - وربا الجاهلية موضوع . وأول ربا أضع ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله . فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ؛ ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه . فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح . ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف . وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به : كتاب الله . وأنتم تسئلون عني ، فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت . فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس : اللهم اشهد اللهم اشهد - ثلاث مرات » .

محمد حامد الفقي

(١) روى البخاري ومسلم وأصحاب السنن وغيرهم أن النبي ﷺ « سئل : ما يلبس المحرم ؟ فقال : لا يلبس المحرم القميص ولا العمامة ولا البرنس ولا السراويل ولا ثوباً مسه ورس ولا زعفران ، ولا الخفين إلا أن لا يجد نعلين فليقطعهما أسفل من الكعبين » وروى البخاري ومسلم عن ابن عباس أن النبي ﷺ : « خطب بعرفات : من لم يجد إزاراً فليلبس سراويل ، ومن لم يجد نعلين فليلبس خفين » زاد أحمد « ولم يقل : ليقطعهما » وهذا يدل على أن النعل : هو كل حذاء يكون دون الكعبين . والكعب هو العظم الناتىء في جانب أسفل الرجل عند التقاء الساق

بالقدم . ويدل على أن ما يزعمه المتنطعون من أن المحرم لا يلبس المخيط خطأ فاحش ، وإنه إنما نهى عن لبس المحيط - بالحاء المهملة - أي الثوب الذي يحيط بالأعضاء ، أما أن يضع الثوب المخيط على عاتقه أو يلتف به يجعله إزارا أو رداء فلاشيء فيه . وكذلك يلبس كل حذاء لا ساق له لأن الخف هو الحذاء ذو الساق فإن لم يجد نعلاً ولبس الخف فلا شيء عليه . لأنه لم يقل : ليلبسهما ثم ليفد . والرسول ﷺ لا يترك في التشريع أي خفاء ولا لبس ، لأنه أصدق المبلغين عن الله وأحرص المعلمين على تقوى الله . فكل ما يذكر في كتب المناسك من التشددات فهو تضييق يمقته الله .

وروى أحمد والبخاري والنسائي والترمذي وصححه - عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال : « لا تنتقب المرأة المحرمة ولا تلبس القفازين » وروى أحمد وأبو داود عن عائشة قالت : « كان الركبان يمرون بنا ونحن محرمات مع رسول الله ﷺ فإذا حاذوا بنا أسدلت إحدانا جلبابها من رأسها على وجهها ، فإذا جاوزنا كشفنا ، وهذا يدل على أن المرأة تحرم بثيابها العادية ، ولا داعي أبداً لأن تكون بيضاء ؛ وأنها تغطي وجهها إذا مر بها الرجال الأجانب وأنها ليس عليها في تغطية وجهها وقتئذ فدية ولا شيء . ويدل على أن ما يصنعه كثير من النساء من كشف وجوههن بحضرة الرجال لا يجوز أبداً وإن كن محرمات فضلاً عن كشف وجوههن بعد انتهاء الإحرام وأداء المناسك فذلك أمر قبيح ينافي آداب الإسلام وينافي العبادة التي جئن لها ، ورجالهن آثمون إثماً عظيماً .

(١) يقصد جابر رضي الله عنه أنهم كانوا يتحرون الاقتداء برسول الله ﷺ في القول والعمل أشد التحري لأنهم يوقنون أنه يعمل بوحي من الله وهو أعلم بما يوحي إليه . ومن ثم يظهر أن اختلافات المذاهب في المناسك ليست من هدي رسول الله ﷺ وأن هديه واحد هو الذي رواه جابر وغيره من الصحابة . وفق الله الناس إلى ترك هذه الخلافات والاقتداء به ﷺ .

(١) الرَّمَل : هو السير النشيط في خطوات متقاربة ؛ علامة القوة والشجاعة وأصله أن أهل مكة قالوا يوم عمرة القضية : إنه ليس مع محمد إلا قوم قد أنهكتهم حمى يثرب . ثم صعدوا على جبل قيقاع ينظرون اليهم وهم يطوفون . فأمر النبي ﷺ أصحابه أن يظهروا قوتهم ونشاطهم ويغيظوا المشركين بذلك ثم بقي هذا الرمل في كل طواف قدوم .

من خطبة النبي ﷺ في حجة الوداع

البخاري : عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم النحر فقال :

« يا أيها الناس . أيُّ يوم هذا ؟ قالوا : يومٌ حرام . قال : فأيُّ بلد هذا ؟ قالوا : بلدٌ حرام . قال : فأيُّ شهر هذا ؟ قالوا : شهر حرام . قال : فإن دماءَكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام . كحرمة يومكم هذا . في بلدكم هذا . في شهركم هذا . فأعادها مرارًا . ثم رفع رأسه فقال : اللهم هل بلغت . اللهم هل بلغت » قال ابن عباس : فوالذي نفسي بيده إنها لوصيَّته إلى أُمَّته ، « فليبلغ الشاهدُ الغائبَ . لا ترجعوا بعدي كفارًا يضربُ بعضكم رقاب بعض » .

حرام أي : مُعَظَّم يحرم فيه القتال والاعتداء .

بقلم الشيخ العلامة
محمد حامد الفقى

بدعة الاحتفال بمولد النبى صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى من سورة الحج ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴾ .

قد جاء فى حب النبى ﷺ من النصوص مالايحتاج إلى إيضاح ورأس ذلك ما روى البخاري ومسلم أن النبى ﷺ قال « والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين » وفى الحديث الآخر « حتى أكون أحب إليه من نفسه التى بين جنبيه » والحب لرسول الله ﷺ بهذا لايكون فرضاً فحسب بل هو أحد أصلى الإيمان فإن مبنى الإيمان وأساسه : على حب الله وحب رسوله ، فلن يجد أحد حلاوة الإيمان حتى يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما .

والحب حُبان : حب وهمىٌّ خيالى وحب يقينىٌّ حقيقى أو حب كاذب وحب صادق فالحب الوهمى الخيالىّ الكاذب هو حب الجاهلين الذين حرموا العلم بمعرفة محبوبهم على حقيقته وصفاته التى تميزه عن غيره . والحب اليقينى الصادق هو حب العارفين الذين أوتوا العلم بمعرفة محبوبهم وصفاته وخصائصه التي تميزه عن غيره تميزاً لا يقع معه وهم ولا اشتباه .

ولطالما كان الحب الوهمى الخيالى هذا باباً من أوسع أبواب الشيطان التى أدخل منها فى القلوب الزيغ والإلحاد والوثنية والشرك فانقلب المقلدون الجاهلون من حيث لا يشعرون ألد أعداء من يدعون حبه وأشد الناس بغضاً له ولصفاته وخصائصه التي ميزه الله بها عن غيره .

والمثل قائم ملموس فى النصارى الذين يقسمون جهد أيمانهم أنهم أشدُّ الناس حباً للمسيح عيسى بن مريم عبد الله ورسوله وكلمته التى ألقاها إلى مريم وروح منه وكل عاقل لايمترى فى أنهم — بعقيدتهم الخاطئة فى المسيح — أبغض الناس له وأشدهم له كراهية ولصفاته التى ميزه الله بها ، ذلك بأنهم جهلوا عيسى عليه السلام وجهلوا حقيقته وما اختص به فكانوا من الضالين .

كان لليهود في إفساد دين عيسى بن مريم وإزاغة النصارى عنه أكبر الأثر .. لأنهم أشد الناس بغضاً لله ولرسله .

وما جرهم الشيطان إلى الغلو فى عيسى وأمه إلا بزمام هذا الحب الوهمى الخيالى الكاذب ومازال يقذف فى قلوبهم من الأوهام والخيالات الكاذبة حتى قالوا : إنه ابن الله وأنه الله واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله وأشركوهم معه فى العبادة والتشريع ، وما زال بهم الغلو حتى زعموا أنه النور المنبثق من ربهم وأنه لذلك أول خلق الله وما زال يتنقل بالكلمة حتى حل لاهوته فى ناسوت ابن مريم كما زعمت صوفية الهند والصين فى بوذا وبرهما وصوفية قدماء اليونان والمصريين فى معبوداتهم ومقدّسيهم كما قال الله تعالى ﴿ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ سبحان الله وتعالى عما يشركون .

ولا يشك عاقل فى أن مسيحهم الذى يدعون له هذا الحب الوهمى الكاذب إنما هو شخص خيالى وهمى أيضاً لا حقيقة له فى الوجود أصلاً[1] صورته فى قلوبهم المظلمة يد الشيطان عدو الله وعدو عيسى والنبيين وعدو الإنسان المبين فإنه يستحيل أن يكون للمسيح الموصوف بالنور الأول وبالبنوة لله وبصفات اللاهوتية المزعومة وجود ولا حقيقة خارج هذه العقول السخيفة . أما عيسى الحقيقى عبد الله ورسوله الذى جعل الله ولادته آية على عظيم قدرته سبحانه ومعجزة لإبطال ما ادعوه فى ذلك العصر من التبحر فى الطب حتى فتنوا وفتنوا الناس بذلك .

هذا النبى الذى هو عيسى بن مريم والذى نحله النصارى صفات الألوهية لجهم الكاذب إياه لو أنه عاد إلى الدنيا لقاتلهم قبل أن يقاتل اليهود الذين رموا أمه البتول المطهرة بالمنكر والزور . وإنك لتراهم مع ذلك قد أكثروا من الأعياد والذكريات لحوادث مسيحهم الخيالى وأمه ولكل شأن من شئون هذا المسيح وأمه وللرهبان والقسيسين المنتسبين إليه والزاعمين أنهم أكثر الناس حباً له .

فلا يكاد ينتهى شهر إلا وفيه عيد أو أكثر ، يفعلون فى تلك الأعياد أقصى مايستطيعون ويبذلون عليها الأموال ويطعمون الطعام ويوقدون السرج والشموع ابتهاجاً بتلك الأعياد ، وقد جعلوا لكل عيد من هذه الأعياد طقوساً خاصة يرتلون فيها التراتيل ويترنمون فيها بالصلوات والمزامير ويجتمعون لها فى الكنائس وهى عندهم أهم عناصر دينهم وأقدس قرباتهم ، ويعتبرون مايقارفونه فى هذا السبيل من فعل أوقول أجلى مظاهر حبهم للمسيح وأقوى سبب لمرضاته وأقرب طريق إلى الجنة التى هى فى زعمهم وقف عليهم دون الناس أجمعين ! !

ولقد كان لليهود فى إفساد دين عيسى بن مريم وإزاغة النصارى عنه أكبر الأثر لأنهم أشد الناس بغضاً لله ولرسله ولكل قائم بالقسط بين الناس ولكنهم مع هذا قد تأثروا بما دسه سلفهم فى عقيدة النصارى فشرع لهم أحبارهم أعياداً على غرار أعياد النصارى لما تجره هذه الأعياد من منافع مادية على القسس والرهبان ، فابتدع أحبار اليهود لعامتهم مثل هذه الأعياد واستغلوها لجر المنافع المالية والرياسات الدنيوية .

وقد كان لمشركى العرب وعبدة الكواكب والمجوس والهنود وغيرهم فى الجاهلية أعياد ومواسم لآلهتهم كانت هى القدوة الأولى التى ضاهأ اليهود والنصارى أصحابها ، كما أخذوا بنوة عزير والمسيح لله عن البوذيين

والبراهمة الهنود والصينيين عن قدماء المصريين الذين كانوا يزعمون أن فرعون ابن السماء أو ابن الشمس وما إلى ذلك وما كفاهم تلك البدع الخبيثة التى نشروها وحملوا الناس عليها بمختلف الأسباب والأساليب ، بل عمدوا إلى مايردها من النصوص أو يشير إلى بطلانها — ولو من طرف خفى — فحرفوه عن موضعه أو غيّروه واستبدلوه بغيره من عند أنفسهم ﴿ فويْلٌ لِلَّذين يكْتبُون الكتاب بأيْديهمْ ثُمَّ يقُولُون هذا منْ عند الله ليشْتروا به ثمناً قليلاً فويْلٌ لَهُمْ ممَّا كتبتْ أيْديهم وويْلٌ لَهُمْ ممَّا يكْسبُون ﴾ .

ومازال الشر يتمادى بأولئك المبدلين لدين الله حتى عم الفساد الأرض وظهر فى البر والبحر بما كسبت أيديهم ولف الدنيا ظلام الجاهلية الجهلاء حتى أصبح الناس فى ليل بهيم من عمى القلوب والبصائر .

وقضت رحمة الله عز وجل أن يختار من بين هذا العالم رسولاً يصلح شأنه ويخرجه من الظلمات إلى النور فكان ذلك المصطفى المختار هو محمد بن عبد الله خاتم النبيين وإمام المتقين وسيد المصلحين بعثه بالملة السمحاء التى بددت مصابيحها غياهب تلك الظلمات المتراكمة وجلت عن القلوب صداها وأعادتها إلى صفائها الفطرى فعرفت ربها وأخلصت له دينها وأسلمت له وجهها فى طاعة وانقياد وعرفت مقامه فأعطته حقه كاملا وعرفت لعبيده قدرهم فلم تعطهم أكثر من حقهم من العبودية والبشرية الضعيفة المقهورة لمن خلقها وسوّاها ، وحتى ذلك الرسول الأكرم — الذى نسبوا له من الخصائص ماتقشعر له الجلود — بشر ولد كما يولد البشر ، طعامه وشرابه ومحياه ومماته ككل إنسان ﴿ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾ وأمره الله أن يقول ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴾ وقال عز وجل ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِّتَّ فَهُمُ الخالِدُون ﴾ وقال ﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعاً مِنَ الرُّسُلِ ﴾ وقال ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُون ﴾ وقال ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُم ﴾ .

لقد قال النبى ﷺ وهو أعلم بنفسه من كل إنسان مهماأوتى من علم — « إنما أنا بشر . فلعل أحدكم أن يكون ألحن بحجته فأقضى له » وقال : «إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد » وقال : « لاتطرونى كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فإنما أنا عبد الله ورسوله فقولوا عبدالله ورسوله » .

لذلك كان لزاماً على كل مسلم — أن يؤمن بقول الله عن رسوله وبقول الرسول عن نفسه ويكفر بمفتريات الصوفية أعداء الله ورسوله القائلين عليهما بغيرعلم ولا هدى ولا كتاب منير : أنه أول خلق الله وأنه النور الذى منه خلق كل شىء وأنه نور عرش الله ، وأنه مكتوب على ساق العرش ، وأنه وأنه . إلى آخر تلك الأباطيل التى موَّهوا بها على الجاهلين ليصلوا منها إلى تكذيب القرآن فيما أخبر به عن بشرية الرسول التى يماثل فيها جميع البشر ، وإلى تكذيب الرسول الذى يخبر عن نفسه بما يرد افتراءات أولئك الضالين المضلين ، وإن زعموا أنهم أشد الناس حباً لله ولرسوله ، وأن هذا إنما هو السبيل إلى مرضاة الله بتعظيم رسوله هذا التعظيم الشركى الخبيث . فما مثلهم إلا كمثل النصارى مع عيسى سواء بسواء ، حذو النعل بالنعل ، وتلك هى المضاهأة التى عنى الله . فكن على بيِّنة من أمرك ، واحذر أن تكون مع أولئك الصوفية الملاعين الذين خدعوا الناس عن دينهم ونبيهم بخرافات زعموها تعظيما ،

وما كان الفضل الأعظم والرحمة العامة الشاملة . . والهداية التي أخرجت الناس من الظلمات إلى النور من محمد بن عبد الله . وإنما كانت من محمد رسول الله

صلى الله عليه وسلم وفقه الصحابة والتابعون .. والأئمة والمهتدون إلى الانتفاع بهذه الذكرى المجيدة ، وأحلوها من نفوسهم المحل الأرفع إيماناً وهداية .. وطاعة لله .

ولو كانت كذلك ما فاتت أحداً من الصحابة ولا التابعين ولا الأئمة المهتدين ، ولقد كانوا فى حبهم لرسول الله فى درجة لايمكن أن يدعيها واحد من أولئك الصوفية لنفسه . ثم ماذا ينقص من قدر الرسول إذا كان بشراً وكان أعلى أنواع البشرية فى كل خصائصها ومزاياها ؟

فروحه أطهر الأرواح ، وعقله أكبر العقول ، ونفسه أزكى النفوس ، وفطرته أسلم الفطر ، وبالجملة فقد تركز فى شخصه كل الكمال البشرى بحيث لم يكن ولن يكون له فيه مساو ولا ضريب ولا مثيل ، وليس فى ذلك مثقال خردلة من علوّ . فقد أخبر الله أنه على خلق عظيم ، وأنه صنع موسى على عينه . فأولى سيد الأنبياء وخاتم المرسلين .

وما كان الفضل الأعظم والرحمة العامة الشاملة والهداية التى أخرجت الناس من الظلمات إلى النور من محمد بن عبد الله وإنما كانت من محمد رسول الله ، وما كانت هذه الرسالة إلا بعد تلك الولادة الروحية الثانية حين اصطفاه الله ، واختاره مرشداً وهادياً للناس على رأس الأربعين من عمره ، تلك الولادة التى كانت فى ليلة القدر من شهر رمضان . فلئن كان شىء من هاتين الولادتين جديراً بالتذكر والتذكير فهو الولادة النبوية لا الولادة البشرية ، وإنه لمن أوجب الفروض إحياء هذه الذكرى فى قلب المؤمن ، وبيته ومتجره ومصنعه ونظام معيشته ، وإدارة شئونه العامة والخاصة ، وإن من أقوى أسباب سعادة الأمة أن تحيى هذه الذكرى فى حكومتها ونظامها وإدارتها وقضائها وجميع شئونها الاقتصادية والسياسية والدولية ، ولن يكون ذلك الإحياء بالاحتفال يوماً معيناً أو ليلة واحدة من السنة ، لا ، وإنما يكون ذلك فى كل وقت ولحظة ، وفى كل عمل وشأن . تبقى هذه الذكرى النبوية ألزم للإنسان من طعامه وشرابه ، لا تبرح قلبه ولا تخرج من نفسه لتكون هى المقومة لعمله ، والهادية له فى كل شئونه ، إلى الطريق المستقيم . هذه الذكرى الروحية تتصل بالروح والأخلاق والآداب ، لا بالظواهر الفارغة من أنوار تضاء وخيام تنصب ، وطبول وزمور . فإن هذه الولادة الروحية تمقت أشد المقت هذا العبث المرذول وذاك المجون البغيض .

ولقد وفق الصحابة والتابعون والأئمة المهتدون إلى الانتفاع بهذه الذكرى المجيدة ، وأحلوها من نفوسهم المحل الأرفع : إيماناً وهداية ، وطاعة لله ولرسوله ، وأخلاقاً فاضلة ، وشدة على الكفار ، وتراحماً بينهم ، وركوعاً وسجوداً ، وأمرابالمعروف ، ونهيا عن المنكر ، وعدلا وإنصافاً وصدقاً وبراً . فكانوا بهذه الذكرى خير أمة أخرجت للناس ، وأعرضوا كل الإعراض عن ذكرى الولادة البشرية . فلم يحتفلوا بها ولم يقيموا لها وزناً ، لأنهم يعلمون أنه فى شهر ربيع الأول كانت الولادة الروحية فلم تنقطع ، ولم تقبر ، ولن تقبر حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ، ولا يزال فضلها يعم أهل الأرض ، وهو من الجدة والقوة والجمال كأول شأنه فى حياة رسول الله ﷺ .

وإنك ترى الصحابة والسلف الصالح لشدة حرصهم على ذكرى الولادة الروحية بذلوا أقصى ما يستطيعون في حفظ أحاديث رسول الله ﷺ ودراسة أخلاقه النبوية وينشروها فى الناس ، وتحملوا في سبيل نشرها فى نواحى العالم أشق الجهود وأبعد الأسفار ، حتى ملأوا الأرض بالهدى النبوى ، وسرت رحمة الله فى مشارق

الأرض ومغاربها ، بفضل أولئك الذين كانوا يقدرون نور الهداية النبوية ، ولا يتشدقون ببياض وجه صاحبها ، ولا بتورُّد خديه !

فما أسمج تلك القصص التى يسمونها « موالد » وما أبعدها عن دين الله وما أعظم شرها فى تذكير الناس برسول الله ، وما أقبحها فى تنفير الناس من محمد رسول الله الهادى إلى سواء السبيل ، وتحبيبهم فى محمد الجميل أحمر الخدود ، أسود العيون إلخ مايهرفون . ألا ساء مايصفون ! ومن الأدلة على قبح هذه الأعياد أن الله تعالى حمى من غشيانها رسوله محمداً حتى طفولته كما تحدثنا كُتب السِّيَر الصادقة ، وصرفه عنها ، وبغَّضه فيها . فلم يحضر مع عشيرته مولداً ولا احتفل بعيد ، فلما بعث قام فى حربها أشد قيام ، وجاهد الدعاة إليها من سدنة الموتى أكبر جهاد ، وما زال حتى طهّر الأرض منها ، ونكَّس أعلامها ، وقشع عن القلوب ظلماتها .

ولما يعلمه رسول الله من طبائع الأمم ، وتحولها عن دين الحق ، كما رأى من اليهود والنصارى وغيرهم . فقد حذر أمته أشد التحذير من تلك الفتنة ، وخوَّفها أشد التخويف من دسائس أعدائها ، ودلها على مالو اتبعته لن تضل بعده :كتاب الله وسنته ، وثبتت عنه الأحاديث الكثيرة فى هذا المعنى منها : « وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ، تمسكوابها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإيا كم ومحدثات الأمور . فإن كل بدعة ضلالة » وقال فى التحذير من تلك الأعمال الجاهلية والأعيادالشركية نصاً صريحاً لايقبل التأويل ولا يصرفه عن مراده إلا مُشاقٍّ لله ولرسوله ومتبع غير سبيل المؤمنين « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، قالت عائشة : يحذر ماصنعوا ، ولولا ذلك لأبرز قبره » وقال « لا تتخذوا قبرى عيداً » وقال : « لعن الله زائرات القبور ، والمتخذين عليها المساجد ، والموقدين عليها السرج » .

ولكن أين الآذان الصاغية ، والقلوب الواعية . بل أين الإسلام الحق ممن زعموا أنهم مسلمون ! !

(*) تلخيص لمقال واف لرئيس التحرير فى بدعة الموالد وأصل منشئها سبق أن طبع فى رسالة مستقلة ، ننشره فى عدد ربيع الأول بمناسبة ما اعتاد المسلمون عمله فى هذا الشهر من بدع منكرة باسم ذكرى مولد الرسول ، والرسول أول من يبرأ من هذا العمل وفاعليه .

(١)حتى ذهب بعض المتطرفين من علماء الافرنج إلى عد المسيح أسطورة تاريخية! وما حملهم على ذلك إلا هذا الإطار الخرافى الذى أحيط به عليه السلام .

تطهير الكعبة من الأصنام

البخاري : عن ابن مسعود – رضي الله عنه – قال : دخل النبيُّ ﷺ مكة يوم الفتح . وحول البيت ستون وثلاثمائة نُصُبٍ فجعل يطعنها بعود في يده ويقول : ﴿ جَاءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَاطِلُ إِنَّ ٱلْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾[الإسراء : ٨١] ﴿ جَاءَ ٱلْحَقُّ ومَا يُبْدِئُ ٱلْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ [سبأ : ٤٩] .

البخاري : عن ابن عباس – رضي الله عنهما – : أن رسول الله ﷺ لما قدم مكة أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة . فأمر بها فأخرجت . فأخرج صورة إبراهيم وإسماعيل – عليهما السلام – في أيديهما مِنَ الأزلام . فقال ﷺ : « قاتلهم الله . لقد علموا ما استقسما بها قط » ثم دخل البيت فكبر في نواحي البيت وخرج ولم يصل فيه .

فضيلة الشيخ

محمد حامد الفقي

رحمه الله

عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ « قَبّل بعض نسائه ثم خرج إلى الصلاة ولم يتوضأ » كذا رواه الإمام أحمد ورجاله مخرّج لهم في الصحيح . وقد ضعفه البخاري وغيره .

قال أبو طاهر – عفا الله عنهما – الحديث رواه أيضاً الترمذي : حدثنا قتيبة وهناد وأبو كريب وأحمد بن منيع ومحمود بن غيلان وأبو عمار – الحسين بن حريث – قالوا : حدثنا وكيع عن الأعمش عن حبيب ابن أبي ثابت عن عروة عن عائشة « أن النبي ﷺ قَبّل بعض نسائه ثم خرج إلى الصلاة ولم يتوضأ . قال قلت من هي إلا أنتِ ، قال فضحكتْ » رواه أبو داود (جـ١ ص٧٠) وابن ماجه (جـ١ ص٩٣) ورواه الطبري في التفسير (جـ٥ : ٦٧) وهو في مسند أحمد (جـ٦ : ٢١٠) .

قال أبو عيسى الترمذي : وإنما ترك أصحابنا حديث عائشة عن النبي ﷺ في هذا لأنه لا يصح عندهم لحال الإسناد . قال وسمعت أبا بكر العطار البصري يذكر عن علي بن المديني قال : ضعف يحيى بن سعيد القطان هذا الحديث وقال : هو شبه لا شيء . قال وسمعت محمد بن إسماعيل البخاري يضعف هذا الحديث وقال : حبيب بن أبي ثابت لم يسمع من عروة .

وللعلامة المحقق الأستاذ الشيخ أحمد شاكر القاضي الشرعي – رحمه الله – تعليق واسع جداً على هذا الحديث في سنن الترمذي (طبعة الحلبي) وسبق لهذه المجلة نشره ،

ونعيد هنا بعضه لمن فاته الاطلاع عليه .

قال الزيلعي في نصب الراية (١ : ٣٨)

« وقد مال أبو عمر بن عبد البر إلى تصحيح هذا الحديث ، فقال صححه الكوفيون وثبتوه لرواية الثقات من أئمة الحديث له .

وحبيب لا ينكر لقاؤه عروة ، لروايته عمن هو أكبر من عروة وأقدم موتاً . وقال في موضع آخر ، لا شك أنه أدرك عروة » انتهى .

وقد جاءت متابعات أخرى لهذا الحديث بعضها صحيح وبعضها يقارب الصحيح وأكثرها لا مطعن فيه إلا احتمال الخطأ من بعض الرواة ؛ أو ادعاءه عليهم ؛ وتضافرهم على الرواية برفع الاحتمال ، وينقض الادعاء ، وانظرها في الدارقطني (ص ٤٩-٥٢) ونصب الراية (١،٣٧-٣٩) ومن أحسنها ما رواه أحمد في المسند (٦،٦٢) « حدثنا محمد بن فضيل حدثنا الحجاج عن عمرو بن شعيب عن زينب السهمية عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ يتوضأ ثم يقبل ويصلي ولا يتوضأ » رواه ابن ماجه (١،٩٤) عن أبي بكر بن أبي شيبة عن محمد بن فضيل ، ورواه الدارقطني من طريق عياد بن العوام عن حجاج بإسناده .

وأما أصل الباب ومرجع الخلاف فهو : هل يجب الوضوء من مس المرأة ؟ ذهب بعض الصحابة والتابعين ومن تبعهم من الفقهاء والمحدثين إلى الوجوب ، وذهب بعض الصحابة ومن بعدهم إلى عدم الوجوب ، وهو الصحيح الراجح .

وأصل الخلاف فيه تفسير اللمس من قوله تعالى في سورة المائدة : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وإن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُمْ مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ﴾ [آية ٦] وكذلك في قوله تعالى في سورة النساء ﴿ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ [آية ٤٣] على القراءتين في الآيتين ؛ فقد قرأهما حمزة والكسائي وخلف [لمستم] بغير ألف ، وقرأهما باقي القراء العشرة [لامستم] بالألف .

قال ابن رشد في بداية المجتهد (١ ، ٢٩) وسبب اختلافهم في هذه المسألة اشتراك اسم اللمس في كلام العرب ، فإن العرب تطلقه مرة على اللمس الذي هو باليد ، ومرة تكنى به عن الجماع ؛ فذهب قوم إلى أن اللمس الموجب للطهارة في آية الوضوء هو الجماع في قوله تعالى ﴿ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ وذهب آخرون إلى أن اللمس باليد .

ثم قال « وقد احتج من أوجب الوضوء من اللمس باليد بأن اللمس يطلق حقيقة على اللمس باليد ؛ ينطلق مجازاً على الجماع ، وأنه إذا تردد اللفظ بين الحقيقة والمجاز فالأولى أن يحمل على الحقيقة حتى يدل الدليل على المجاز ، ولأولئك أن يقولوا إن المجاز إذا كثر استعماله كان أدل على المجاز منه على الحقيقة ، كالحال في اسم الغائط الذي هو أدل على الحدث - الذي هو فيه مجاز - منه على المطمئن من الأرض ؛ الذي هو فيه حقيقة والذي أعتقده أن اللمس وإن كانت دلالته على المعنيين بالسواء أو قريباً من السواء ؛ أنه أظهر عندي في الجماع وإن كان مجازاً ، لأن الله قد كنى بالمباشرة والمس عن الجماع ؛ وهما في معنى اللمس » .

وهذا الذي قاله ابن رشد تحقيق دقيق ، واضح نفيس ، فإن سياق الآيتين لا يدل إلا على أن المراد المكنى عنه فقط . وكذلك قال الطبري في التفسير بعد حكاية القولين « وإلى القولين في ذلك بالصواب قول من قال : عنى الله بقوله ﴿ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ الجماع دون غيره من معاني اللمس . لصحة الخبر عن رسول الله ﷺ أنه

قبل بعض نسائه ثم صلى ولم يتوضأ » .

القائمون على نصرة القول بأن اللمس ينقض ، والتعصب له ، والذب عنه ، من الفقهاء المحدثين : هم علماء الشافعية ؛ والشافعي نفسه رضي الله عنه ذهب إلى هذا المذهب وقال به ، ولكنه - فيما يبدو من كلامه - يفسر الآية بذلك على شيء من الحذر؛ وكأنه يتحرج من الجزم به ، إذا لم يصل إليه حديث صحيح في الباب فإنه قال في الأم (١ ، ١٢) بعد ذكر آية المائدة « فأشبه أن يكون أوجب الوضوء من الغائط وأوجبه من الملامسة ؛ وإنما ذكرها موصولة بالغائط بعد ذكر الجنابة ؛ فأشبهت الملامسة أن تكون اللمس باليد ، والقبلة غير الجنابة . أخبرنا مالك عن ابن شهاب عن أسلم عن عبد الله عن أبيه قال : قبلة الرجل امرأته وجسها بيده من الملامسة ، فمن قبل امرأته وجسها بيده فعليه الوضوء . قال الشافعي : وبلغنا عن ابن مسعود قريب من معنى قول ابن عمر » .

فهذا التعبير من الشافعي ، وهو دقيق العبارة ، ولا يلقى الكلام جزافاً ؛ ولا يرسل القول إرسالاً ؛ يقول [فأشبهت الملامسة أن تكون اللمس باليد] قد نفهم منه الحذر والتردد لأنه لم يجد عنده في الباب حديثاً مرفوعاً صحيحاً ، وإنما وجد أثراً صحيحاً عن ابن عمر ، ووجد نحوه عن ابن مسعود ، ووجد الآية تحتمل معنى قولهما ، فاحتاط لذلك وفسر الآية على ما يوافق ما لديه من الأثر عن الصحابة .

(فائدة) ورد في الباب أيضاً حديثان صحيحان : الأول رواه الشيخان وغيرهما من طريق مالك عن أبي النضر عن أبي سلمة عن عائشة قالت « كنت أنام بين يدي رسول الله ﷺ ورجلاى في قبلته ، فإذا سجد غمزني فقبضت رجلي ، وإذا قام بسطتهما . قالت والبيوت يومئذ ليس فيها مصابيح » [فتح الباري ١ ، ٤١٣ ، ٤٨٥] و [١ ، ١٤٥] قال الحافظ بن حجر « وقد استدل بقولها غمزني ، على أن لمس المرأة لا ينقض الوضوء ، وتعقب باحتمال الحائل ؛ أو بالخصوصية .

ومن البين الواضح أن هذا التعقب لا قيمة له ، بل هو باطل ، لأن الخصوصية لا تثبت إلا بدليل صريح ، واحتمال الحائل لا يفكر فيه إلا متعصب !.

الحديث الثاني رواه النسائي (١ : ٣٨) من طريق الليث بن سعد عن ابن الهاد عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة قالت « إن كان رسول الله ﷺ ليصلي وإني لمعترضة بين يديه اعتراض الجنازة ؛ حتى إذا أراد أن يوتر مسني برجله » قال الحافظ بن حجر في التلخيص (ص ٤٨) « إسناده صحيح ؛ واستدل به على أن اللمس في الآية الجماع ، لأنه مسها في الصلاة واستمر » .

هذا ونسأل الله أن يوفقنا جميعاً إلى اتباع السنة المحمدية المطهرة ويباعد بيننا وبين التعصب المذهبي المذموم ، وصلى الله على محمد وآله وسلم .

وعنْ كعْبِ بنِ عُجْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ : « مُعَقِّبَاتٌ لا يَخِيبُ قَائِلُهُنَّ ــ أَوْ فَاعِلُهُنَّ ــ دُبُرَ كُلِّ صَلاةٍ مَكْتُوبَةٍ : ثَلاثاً وَثَلاثِينَ تَسْبِيحَةً ، وَثَلاثاً وَثَلاثِينَ تَحْمِيدَةً ، وَأَرْبَعاً وَثَلاثِينَ تَكْبِيرَةً » رواه مسلم .

وعنْ أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ لي رَسُولُ اللهِ ﷺ : « ألا أُخْبِرُكَ بأحبِّ الكَلامِ إلى اللهِ ؟ إنَّ أَحَبَّ الكَلامِ إلى اللهِ : سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ » رواه مسلم .

من ورائع الماضي :
تفسير القرآن

فضيلة الشيخ / محمد حامد الفقي (رحمه الله)

موسس جماعة أنصار السنه

قول الله تعالى ذكره : ﴿وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقًا لما معهم قل فلِمَ تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين * ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون﴾ [البقرة : ٩٢،٩١] .

يقول الله جل ثناؤه : إن اليهود التحدث عن وصفهم وحالهم في عظيم الكفر والبغي وتحجر القلوب ونجاسة النفوس يزعمون . مع هذا كله . أنهم على شيء من العلم والإيمان بالتوراة التي أنزلها الله . وذلك في الواقع دعوى باطلة . وأنهم في الحقيقة أشد الناس كفرًا بالتوراة وبكل ما أنزل الله من الهدى والحق على موسى وعلى من بعده من أنبياء بني إسرائيل وغيرهم عليهم السلام ؛ وأن دينهم إنما هو ما تهوى نفوسهم مما شرعه لهم أحبارهم ورؤساؤهم مما لم يأذن به الله . والعصبية لأولئك الأحبار وتقليدهم تقليدًا أعمى . لا يصدر إلا عن قلب يعتقد لأولئك

الشيوخ العصمة من الخطأ وأنهم لا ينطقون إلا عن وحي يُوحى ، وقد أفسد هذا التقليد الأعمى والعصبية للأحبار والشيوخ واتّباع ما تهوى أنفسهم ، أفسد كل ذلك فطرهم ونكس قلوبهم ، حتى صاروا لا يعرفون الحق إلا من قول أحبارهم وشيوخهم مهما قام الدليل القوي والحجة القاطعة على فساده وبطلانه وأنه رجم بالغيب ووحي الشيطان ، وصار كل ما لم يقله أحبارهم وشيوخهم باطلاً مردودًا مهما قام البرهان القاطع والحجة القوية على أنه الحق من عند اللّه ، مع أن القاعدة المعقولة والفطرة السليمة أن يُعرف الرجال بالحق لا أن يُعرف الحق بالرجال ، فجعلوا هم بفطرتهم الفاسدة الحق تابعًا لأهوائهم ، يدور معها حيثما دارت ؛ فأفسدوا بذلك كل شيء ، قال اللّه تعالى : ﴿ ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن ﴾ [المؤمنون : ٧١] .

وبهذه الفطرة المعكوسة والقلوب المنكوسة حرفوا كلام اللّه عن مواضعه ، وزاغوا به عن سبيله المستقيم إلى طريق هواهم المعوج ؛ وكلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم كذبوه وقتلوه ، إن استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ، حتى كان خاتم المرسلين محمد صلى اللّه عليه وسلم ، جاءهم بالحق مصدقًا للتوراة التي بأيديهم عن موسى ، عليه السلام ، والتي يزعمون أنهم مؤمنون بها ، والتي أخذ اللّه فيها العهد عليهم أن يؤمنوا بمحمد صلى اللّه عليه وسلم ، ويعزروه وينصروه ، وإلا كان ذبحهم على يده ويد أتباعه ، فلما جاءهم من كل ذلك ما عرفوا كفروا به ، لا جهلاً بحقيقة صدقه ولا اشتباهًا في حقيقة أمره ، ولكن حسدًا من عند أنفسهم ، جريًا على طريقتهم مع كل رسول يجيئهم بما لا تهوى أنفسهم – ومحال أن يرسِل اللّه رسولاً بما تهوى أنفسهم ، أو بما تهوى أنفس غيرهم – تعالى اللّه عن ذلك علوًّا كبيرًا : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقًا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ﴾ [البقرة : ١٤٦] .

ولقد كانوا مع هذا يتظاهرون بسمة العلم ويراءون الناس بتكلف التدين ، والتشديد في تحريم بعض الأطعمة وغيرها ليخدعوا الناس عن فسوقهم وتمردهم على كل دين ، ويوهموهم أنهم على شيء ، وهم ليسوا على شيء .

ولقد كان العرب في الجاهلية ينخدعون بذلك ويعتقدون أن اليهود على شيء من الدين ، فكان كثير من أهل المدينة وغيرهم يقلدونهم في كثير مما يزعمونه دينًا من صيام وغيره ، فلما جاء الإسلام فضحهم اللّه شر فضيحة ، وكشف عن

مخازيهم ، وأبدى للناس سوآتهم ؛ فمقتوهم أشد المقت ، وهم على ذلك إلى اليوم وإلى آخر الدهر .

وفي هذه الآية التي نحن بصدد تفسيرها يفضح الله دعواهم الزائفة ، ويكشف عما وراء تشدقهم بالعلم والدين ، ويدمغهم بميسم البهت والفجور : أنهم إذا دُعوا إلى الحق الذي أنزله الله ، والذي أقام عليه الحجة حتى أيقنوا أنه حق من عند الله ، وحتى اعترفوا بألسنتهم أنه من عند الله لا شك في ذلك ، إذا دعوا إلى الإيمان بهذا الحق قالوا : هذا الحق ليس لنا إنما هو لغيرنا ولمن على غير مبدئها وطريقتنا ، وعندنا نحن من علم شيوخنا ما فيه غناء لنا عن هذا الحق ، وإذا نَقَصَنا شيء من العلم فلن نأخذه إلا من واحد يكون منا وعلى مبدئنا وطريقتنا ، وإذا لم نجده الآن فخير لنا أن نبقى على هذا النقص ، ولا نأخذه من نبي أمي إنما أرسل للأميين .

روى الإمام أحمد والنسائي عن صفوان بن عسال ، رضي الله عنه ، قال : قال يهودي لصاحبه : اذهب بنا إلى هذا النبي ، قال له صاحبه : لا تقل : نبي ، لو سمعك كان له أربعة أعين . فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألاه عن تسع آيات بينات ، فقال لهم : « لا تشركوا بالله شيئا ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان ، ولا تسحروا ، ولا تأكلوا الربا ، ولا تقذفوا المحصنة ، ولا تولوا يوم الزحف ؛ وعليكم خاصة يهود : ألا تعدوا في السبت » . فقبّلوا يديه ورجليه ، وقالوا : نشهد أنك نبي ، قال : « فما يمنعكم أن تتبعوني ؟ » . قالوا : إن داود دعا بأن لا يزال من ذريته نبي ، وإنا نخاف إن اتبعناك أن تقتلنا يهود .

فأهل الكتاب يعرفون أن محمدًا صلى الله عليه وسلم نبي حقًا ، نزل عليه الحق من ربه كما نزل على موسى ، عليه السلام ، واستثبتوا من ذلك بعدة امتحانات وأسئلة أوردوها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانوا يقصدون بها تعجيزه ، فينزل جبريل عليه بالجواب ، فلا يسعهم عندئذ إلا الاعتراف بأنه رسول الله ، وبذلك تلزمهم الحجة فيحاولون التملص منها بقولهم : ﴿ نؤمن بما أنزل علينا ﴾ [البقرة : ٩١] ، وهم في الواقع لا يؤمنون بالمُنَزَّل من عند الله على موسى ، فإن الذي يؤمن بما نَزَّل الله على موسى حقيقة لا بد أن يؤمن بكل ما ينزل الله على من بعد موسى ، لأن مقتضى الإيمان في الجميع واحد ، وهو أنه من عند الله ، فقول الله : ﴿ ويكفرون بما وراءه ﴾ [البقرة : ٩١] ، أي بما سوى ما عندهم من العلم ، بيان

لغلبة الهوى والعصبية عليهم ؛ وتحقيق لكذبهم في دعوى الإيمان بما أُنزل من عند اللّه ، وأنّ كفرهم هذا بكل ما أنزل اللّه بعد التوراة ينطوي على دعوى الحجر على اللّه سبحانه أن ينزل شيئًا من العلم والدين بعد التوراة ، وذلك أعظم البهتان والفجور .

ثم ساق اللّه أقوى حجة وأقطع برهان على بهتانهم بقوله لنبيه محمد صلى اللّه عليه وسلم : قل يأيها النبي لأولئك اليهود الزاعمين الإيمان بما أنزل اللّه : ﴿ فلِمَ تقتلون أنبياء اللّه من قبل ﴾ [البقرة : ٩١] أي ؛ الأنبياء من بني إسرائيل الذين أرسلهم اللّه إليكم وبعثهم من قبلي : ﴿ إن كنتم مؤمنين ﴾ حقيقة بما أنزله اللّه من التوراة التي حرم فيها أشد التحريم قتل النفس بغير حق ، خصوصًا أطيب النفوس وأطهرها ، نفوس الأنبياء الذين ينبغي لهم كل الإجلال والطاعة ، والذين يجب تقديم محبتهم على النفس والمال والولد ؟ ما ذلك إلا لأن نفوسكم معشر يهود تنطوي على أشد الكره والعداء لأولئك الأنبياء الذين أقام اللّه لهم المعجزات والآيات على صدقهم ، وهل يجتمع إيمان بما أنزل اللّه مع أشد العداء لرسل اللّه ؟ مستحيل ذلك أشد من استحالة اجتماع الخبيث والطيب والظلمة والنور .

ثم ساق دليلاً آخر على كفرهم بكل الأنبياء حتى بموسى نفسه عليه السلام ، فقال موبخًا لهم ومشددًا في النكير عليهم : ﴿ ولقد جاءكم موسى بالبينات ﴾ [البقرة : ٩٢] بالآيات الواضحات والمعجزات الناطقات بأنه الذي أرسله اللّه لخلاصكم من الذل وسوء العذاب ؛ وتحقق لكم صدقه عيانًا بغلبة سحرة فرعون في يوم الزينة وقد حشر الناس ضحًى ؛ فأراهم اللّه آية موسى ، التي لقفت ما أفك السحرة : ﴿ فألقي السحرة ساجدين * قالوا آمنا برب العالمين * رب موسى وهارون ﴾ [الشعراء : ٤٦-٤٨] ، ثم أراكم أيضًا بأعينكم آيات بينات ، إذ ضرب موسى البحر بعصاه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ، فنجاكم مع موسى وأغرق فرعون ومن معه من الجند العظيم ، أراكم اللّه تعالى كل تلك الآيات لموسى عليه السلام : ﴿ ثم اتخذتم العجل من بعده ﴾ [البقرة : ٩٢] أي من بعد أن تركككم مع هارون يسير على قدر ضعفكم وثقلكم ، وذهب متعجلاً لميقات ربه : ﴿ وأنتم ظالمون ﴾ [البقرة : ٩٢] لأنفسكم بعبادة عجل ، أبلد الحيوانات ، وما كان بعجل حيوان ، لكنه عجل جسد من معدن صامت له خوار . فيا للعقول السقيمة والفطر التي أفسدها التقليد الأعمى والعصبية الجاهلية ، ومن كان حاله كذلك فليس بغريب منه أن يكفر بمحمد صلى اللّه عليه وسلم النبي الأمي ، الذي جاء بخير الشرائع وأكمل الملل ، ونسخ بكتابه كل كتاب وكل شريعة سابقة ، وكسر عن قلوب

الناس قيود الأوهام والعصبيات والتقليد الأعمى للشيوخ والأحبار ، وأخرجهم من ظلمت الجهل إلى نور العلم ، ومن الضلال إلى الهدى .

ولقد خلَف خلْف اتبعوا سنن أولئك الذين ذمهم اللّه في كتابه ، وفرقوا دينهم شيعًا ومذاهب ، وكل واحد يقول : لا آخذ إلا بما في كتب مذهبي وما اختارته شيعتي وأهل طريقتي ؛ لأن مذهبي حق لا يحتمل الخطأ ، ومذهب غيري حق يحتمل الخطأ ، وتجارى بهم ذلك حتى ردوا لأجله ما أنزل اللّه من الكتاب والحكمة وقالوا : هذه الآية لمذهب فلان وليست على مذهبنا ، وهذا الحديث أخذ به فلان ولم يأخذ به إمامنا ، وتجارى بهم سلطان الهوى إلى العصبية الجاهلية التي أفضت في بعض البلاد والأزمنة إلى إراقة الدماء وقتل النفس التي حرم اللّه قتلها ، فضلاً عن التكفير والتضليل ، ولا حول ولا قوة إلا باللّه .

قال الشيخ صالح الفلاني في " إيقاظ أولي الأبصار " - بعد أن ساق كلام كثير من علماء السلف والأئمة في ذم التقليد والعصبية للمذاهب -: قد فهمنا من كلام هؤلاء الأئمة أن كل من قلد واحدًا من العلماء المجتهدين في نازلة من النوازل بعد ظهور كون رأي ذلك الإمام مخالفًا لنص كتاب أو سنة أو إجماع أو قياس جلي - عند القائل به - وعلم المقلد النص المذكور ، فصمم على التقليد فهو كاذب في دعواه الاقتداء بالإمام المذكور ، وكاذب في تقليده ، بل هو متبع لهواه وعصبيته ، والأئمة كلهم بريئون منه ؛ فهو مع الأئمة بمنزلة أحبار أهل الكتاب مع أنبيائهم ، فإنهم يَدَّعون اتّباع الأنبياء ، مع أن الأنبياء قد أمروهم باتباع محمد صلى اللّه عليه وسلم والإيمان به ونصره ، وهم يكذبون محمدًا صلى اللّه عليه وسلم ويؤذونه ، ويلزم من تكذيبهم للنبي صلى اللّه عليه وسلم تكذيبهم جميع الأنبياء . اهـ .

والحمد للّه على العافية من ذلك ، ونسأله الثبات على الهدى .

محمد حامد الفقي

إنا للّه وإنا إليه راجعون

تحتسب جماعة أنصار السنة المحمدية - عند اللّه - زوجة رجل من المؤسسين الأوائل لدعوة أنصار السنة المحمدية وهو الشيخ / عبد الباقي الحسيني ، حيث توفاها اللّه يوم السبت الموافق ١٩٩٧/٣/٢٩ م ، وكانت المتوفاة ، رحمها اللّه ، من الحافظات لكتاب اللّه .

رحم اللّه الجميع وأسكنها فسيح جناته .

تفسير القرآن الحكيم

الجزء الثاني

فضيلة الشيخ / محمد حامد الفقي (رحمه اللّه)

قول اللّه تعالى ذكره : ﴿للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض جميعًا ومثله معه لافتدوا به أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد﴾ [الرعد : ١٨] .

(الاستجابة) : التحري للجواب والتهيؤ له ، وعبر بها عن الإجابة لعدم انفكاكها عنها ، يعني أنها إنما تقال للإجابة التي تكون عن تبصر وعلم بحقيقة ما يُدعى إليه وبعاقبته وما يستفاد منه من فوائد ، ويجني منه من ثمرات ، وهي تدل أيضًا على الإسراع في الإجابة وعدم التلكؤ في طاعة الداعي ، فاللّه تعالى يصفهم بأنهم سريعو الفهم لما يدعوهم اللّه إليه ؛ والتفقه فيه وتدبره مما يتلى عليهم من الآيات وما يضرب لهم من الأمثال ، فإذا فقهوا عن اللّه ذلك سارعوا إلى الإيمان والاتباع والطاعة ، ليسوا بلداء ولا متغافلين ولا متكاسلين ؛ لأنّهم يعلمون أن اللّه ورسوله صلى اللّه عليه وسلم لا يدعوانهم إلا لما يحييهم الحياة الطيبة التي لا ضلال ولا شقوة فيها ، ولأنّهم تجردوا عن التقليد الأعمى للآباء والشيوخ وعرفوا نعمة اللّه في السمع والبصر والفؤاد فشكروها بالانتفاع بها .

و ﴿ الحسنى ﴾ : قال ابن عباس رضي اللّه عنهما : هي الجنة ، وهي في اللغة تأنيث الأحسن ، وهي جامعة لكل المحاسن ، فهي المنفعة العظمى في الحسن ، قال ابن الأنباري : والعرب توقعها على الخلة المحبوبة والخصلة المرغوب فيها المفروح بها ، ولذلك لم توصف في القرآن ولم تنعت بشيء ؛ لأنّ ما

تعرفه العرب من أمرها يغني عن نعتها ، يدل على ذلك قول امرئ القيس :

فصرنا إلى الحسنى ورقّ كلامنا .

ورُضْت فذلت صعبة أي إذلال

أراد : فصرنا إلى الأمر المحبوب المأمول ، فـ ﴿ الحسنى ﴾ هي المثوبة العظمى التي لا أنفع ولا أعظم ولا أحسن منها في الدنيا والآخرة ، وتطلق ﴿ الحسنى ﴾ على العمل الصالح والنية الطيبة والقصد الحسن في الدنيا . كما حكى الله من قول المنافقين حين بنوا مسجد الضرار في المدينة واتخذوه ضرارًا وكفرًا وتفريقًا بين المؤمنين وإرصادًا لمن حارب الله ورسوله وحلفوا بالله : ﴿ إن أردنا إلاّ الحسنى ﴾ [التوبة : ١٠٧] . ولم يكن قصدهم إلا السوأى .

وقد وصف الله كلمته وأسماءه بأنها : ﴿ الحسنى ﴾ ؛ لأنها جمعت كل خير وكمال لائق بالله سبحانه ، وكل الأعمال الصالحة والخيرات والأخلاق الكريمة والثواب والنعيم في الآخرة ، يستعمل القرآن فيه الإحسان والحسنة والأحسن والحسن ، وفي ضدها : السوء ، والسيئة ، والإساءة ، والسيئ ، والسوأى .

﴿ لافتدوا به ﴾ : الافتداء جعل أحد الشيئين بدلاً من الآخر ، ومفعول (افتدوا) محذوف تقديره أنفسهم ؛ أي لافتدوا بما في الأرض ومثله معه - إن كان مملوكًا لهم - أنفسهم ، ليخلصوا من العاقبة السوأى التي أعدت لهم مثوبة في الآخرة جزاءً وفاقًا .

و ﴿ سوء الحساب ﴾ : قال ابن عباس : لا تقبل لهم حسنة ، ولا يتجاوز لهم عن سيئة ، و﴿ الحساب ﴾ : ضبط الأشياء وإحصاؤها بالعدد ، ويريد الله تعالى منه ضبط الأعمال وإحصاءها بالعدد ، ثم سردها يوم القيامة على العبد بالدقة التامة ، بحيث لا يغيب ولا ينقص منها مثقال الذرة ، ثم مقابلتها بما يكافئها من المثوبة والجزاء ؛ فالذين آمنوا وأحسنوا في الدنيا أعمالهم يحاسبهم الحساب الحسن ويجزيهم بأحسن ما كانوا يعملون ، والذين أساءوا عقيدتهم وأعمالهم في الدنيا لهم سوء الحساب ، ويجزيهم بأسوأ ما كانوا يعملون .

قال الله تعالى في سورة « يونس » : ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ۞ والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعًا من الليل مظلمًا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [يونس : ٢٦، ٢٧] ، وقال في سورة « الكهف » : ﴿ وأما من آمن وعمل صالحًا فله جزاءً الحسنى ﴾ [الكهف : ٨٨] ، وقال

في سورة « الأنبياء » : ﴿ إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ﴾ [الأنبياء : ١٠١] أي ؛ عن النار ، وقال في سورة « النجم » : ﴿ وللّه ما في السموات وما في الأرض ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ﴾ [النجم : ٣١] ، وقال في سورة « الليل » : ﴿ فأما من أعطى واتقى ۞ وصدق بالحسنى ۞ فسنيسره لليسرى ۞ وأما من بخل واستغنى ۞ وكذب بالحسنى ۞ فسنيسره للعسرى ﴾ [الليل : ٥-١٠] ، وقال في سورة « آل عمران » : ﴿ إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبًا ولو افتدى به ﴾ [آل عمران : ٩١] ، وقال في سورة « المائدة » : ﴿ إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعًا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم ﴾ [المائدة : ٣٦] ، وقال في سورة « يونس » : ﴿ ولو أن لكل نفس ظلمت ما في الأرض لافتدت به وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ﴾ [يونس : ٥٤] ، وقال في سورة « الزمر » : ﴿ ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعًا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من اللّه ما لم يكونوا يحتسبون ۞ وبدا لهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ﴾ [الزمر : ٤٧،٤٨] ، وقال في سورة « المعارج » : ﴿ يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه ۞ وصاحبته وأخيه ۞ وفصيلته التي تئويه ۞ ومن في الأرض جميعًا ثم ينجيه ۞ كلا ﴾ [المعارج : ١١-١٥] .

والآيات في السيئ والسوأى من العقائد والأعمال والأخلاق والجزاء كثيرة جدًّا ، من أوضحها قول اللّه تعالى في سورة « النحل » : ﴿ قال الذين أوتوا العلم إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين ﴾ [النحل : ٢٧] ، وفيها : ﴿ ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل اللّه ولكم عذاب عظيم ﴾ [النحل : ٩٤] ، وقوله في سورة « الروم » : ﴿ ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى أن كذبوا بآيات اللّه وكانوا بها يستهزئون ﴾ [الروم : ١٠] ، وفي سورة « الرعد » : ﴿ والذين ينقضون عهد اللّه من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر اللّه به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار ﴾ [الرعد : ٢٥] ، وفي سورة « النمل » : ﴿ إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون ۞ أولئك الذين لهم سوء العذاب ﴾ [النمل : ٤،٥] .

وقول اللّه تعالى : ﴿ ومأواهم جهنم ﴾ [الرعد : ١٨] ؛ أي مرجعهم الذي يلجئهم

اللّه إليه ولا مخرج لهم منه هو جهنم : ﴿ كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها ﴾ [السجدة : ٢٠] ، ﴿ لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها ﴾ [فاطر : ٣٦] ، ﴿ كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودًا غيرها ليذوقوا العذاب ﴾ [النساء : ٥٦] ، ﴿ إنه من يأت ربه مجرمًا فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ﴾ [طه : ٧٤] ، ﴿ إنها لظى * نزاعة للشوى ﴾ - أي : جلدة الرأس وشعرها - ﴿ تدعو من أدبر وتولى * وجمع فأوعى ﴾ [المعارج : ١٥-١٨] ، ﴿ إن جهنم كانت مرصادًا * للطاغين مآبًا * لابثين فيها أحقابًا * لا يذوقون فيها بردًا ولا شرابًا * إلا حميمًا وغساقًا * جزاءً وفاقًا ﴾ [النبأ : ٢١-٢٦] .

﴿ وبئس المهاد ﴾ ؛ بئس فعل جامد للذم ، والمهاد : المكان الموطأ الممهد ، ومنه المهد : لفراش الطفل الذي هيئ ومهد له ملائمًا وموافقًا لحاله ، فجهنم قد أعدها اللّه ومهدها وهيأها لأهلها ، وهي أقبح مهاد وأسوأ مأوى وأبأس مكان ، وأشقى منزل .

نسأل اللّه سبحانه وتعالى أن يجيرنا منها بفضله ورحمته ، وأن يبعدنا عن أعمالها وأهلها ، وأن يجعلنا من أهل الجنة بكرمه وإحسانه ، وأن يوفقنا لأعمالها ، ويحبب إلينا أهلها وكل ما يقرب منها ، وصلى اللّه على سيدنا محمد وعلى آله وكل من تبعه بإحسان .

محمد حامد الفقي

مديرية الشئون الاجتماعية بالدقهلية

إدارة الجمعيات

شهـــــادة

تشهد مديرية الشئون الاجتماعية بالدقهلية بأن جمعية أنصار السنة المحمدية بصدقا مركز تمى الأمديد قد تم شهرها تحت رقم ٨١٤ بتاريخ ١٩٩٧/٧/٥ م ، طبقًا للقانون ٣٣ لسنة ٦٤ م بشأن الجمعيات والمؤسسات الخاصة واللائحة التنفيذية لذلك القانون .

تحريرًا في : ١٩٩٧/٧/٥ م

تحقيق القول في المسح على الجوربين[1]

كتبه فضيلة الشيخ / محمد حامد الفقي
الرئيس العام الأول لجماعة أنصار السنة - رحمه الله

روى أبو داود والترمذي - وقال : حسن صحيح - وابن ماجه والنسائي عن المغيرة بن شعبة : ((أن رسول الله ﷺ توضأ ومسح على الجوربين والنعلين)) . وكذلك رواه ابن حبان في ((صحيحه)) في النوع الخامس والثلاثين من القسم الرابع .

وقال ابن قدامة في ((المغني)) : ويجوز المسح على كل خُف ساتر يمكن متابعة المشي فيه ، سواء كان من جلود أو من لبود وما أشبهها .

ثم قال : وإنما يجوز المسح على الجورب بالشرطين اللذين ذكرناهما في الخف :

أحدهما : أن يكون صفيقًا[2] لا يبدو منه شيء من القدم .

والثاني : أن يمكن متابعة المشي فيه . هذا ظاهر كلام الخرقي .

قال أحمد في المسح على الجوربين بغير نعل : إذا كان يمشي عليهما ويثبتان في رجليه فلا بأس . وفي موضع آخر قال : يمسح عليهما إذا ثبتا في العقب .

وفي موضع قال : إن كان يمشي فيه فلا ينثني فلا بأس بالمسح عليه ، فإنه إذا انثنى ظهر مواضع الوضوء ، ولا يعتبر أن يكونا مجلدين .

قال أحمد : يذكر المسح على الجوربين عن سبعة أو ثمانية من أصحاب رسول الله ﷺ .

وقال ابن المنذر : ويروى إباحة المسح على الجوربين عن تسعة من أصحاب رسول الله ﷺ : علي ، وعمار ، وابن مسعود ، وأنس ، وابن عمر ، والبراء بن عازب ، وبلال ، وابن أبي أوفى ، وسهل بن سعد .

وبه قال عطاء ، والحسن ، وسعيد بن المسيب ، والنخعي ، وسعيد بن جبير ، والأعمش ، والثوري ، والحسن بن صالح ، وابن المبارك ، وإسحاق ، ويعقوب ، ومحمد بن سيرين .

وقال أبو حنيفة ، ومالك ، والأوزاعي ، ومجاهد ، وعمرو بن دينار ، والحسن بن مسلم ، والشافعي : لا يجوز المسح عليهما إلا أن ينعلا ؛ لأنهما لا يمكن متابعة المشي فيهما ، فلم يجز المسح عليهما كالرقيقين .

ولنا ما روى المغيرة بن شعبة : ((أن النبي ﷺ مسح على الجوربين والنعلين)) . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

وهذا يدل على أن النعلين لم يكونا على الجوربين ؛ لأنهما لو كانا كذلك لم يذكر النعلين ، فإنه لا يقال : مسحت على الخف ونعله ؛ ولأن

الصحابة ، رضي الله عنهم ، مسحوا على الجوارب ، ولم يظهر لهم مخالف في عصرهم ، فكان إجماعًا ، ولأنه ساتر لمحل الفرض يثبت في القدم ، فجاز المسح عليه كالنعل . ثم قال : وإذا لم يثبت الجورب بنفسه وثبت بلبس النعل[٣] أبيح المسح عليه ، وتنتقض الطهارة بخلع النعل ؛ لأن ثبوت الجورب أحد شرطي المسح ، وإنما حصل بلبس النعل ؛ فإذا خلعها زال الشرط ، فبطلت الطهارة كما لو ظهر القدم ، والأصل في هذا حديث المغيرة بن شعبة ، وقوله : مسح النبي ﷺ على الجوربين والنعلين .

قال القاضي : ويمسح على الجورب والنعل كما جاء في الحديث . والظاهر أن النبي ﷺ إنما مسح على سيور النعل التي على ظاهر القدم ، فأما أسفله وعقبه فلا يسن مسحه من الخلف ، فكذلك من النعل . اهـ .

وقال الإمام النووي ، رحمه الله ، في شرح ((المهذب)) : هذه المسألة - يعني المسح على الجورب - مشهورة ، وفيها كلام مضطرب للأصحاب ، ونص الشافعي ، رضي الله عنه ، عليها في ((الأم)) ، وهو أنه يجوز المسح على الجورب ، بشرط أن يكون صفيقًا منعلاً ، وهكذا قطع به جماعة ؛ منهم الشيخ أبو حامد ، والمحاملي ، وابن الصباغ ، والمتولي وغيرهم . ونقل المزني أنه لا يمسح على الجوربين إلا أن يكونا مجلدي القدمين .

وقال القاضي أبو الطيب : لا يجوز المسح على الجورب إلا أن يكون ساترًا لمحل الفرض ، ويمكن متابعة المشي فيه . قال : وما نقله المزني من قوله : إلا أن يكونا مجلدي القدمين ، ليس بشرط ؛ وإنما ذكره الشافعي ؛ لأن الغالب أن الجورب لا يمكن متابعة المشي فيه ، إلا إذا كان مجلدي القدمين ، هذا كلام القاضي أبي الطيب .

وذكر جماعة من المحققين مثله ؛ ونقل صاحب

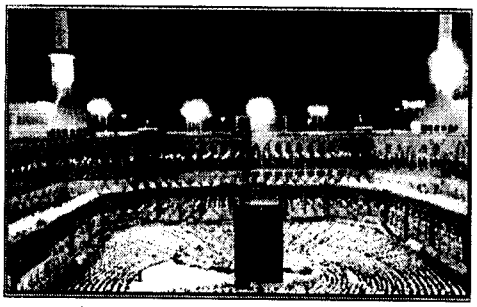

((الحاوي)) و((البحر)) وغيرهما وجهًا : أنه لا يجوز المسح وإن كان صفيقًا يمكن متابعة المشي عليه حتى يكون مجلد القدمين .

والصحيح ، بل الصواب ما ذكره القاضي أبو الطيب والقفال وجماعات من المحققين : أنه إن أمكن متابعة المشي فيه جاز كيف كان ، وإلا فلا . وهكذا نقله الفوراني في ((الإبانة)) عن الأصحاب أجمعين ، فقال : قال أصحابنا : إن أمكن متابعة المشي على الجوربين جاز المسح عليهما ، وإلا فلا . ثم حكى ابن المنذر ما حكاه ابن قدامة فيما سبق نقله عنه ، ثم قال : وحكى أصحابنا عن عمر وعلي ، رضي الله عنهما ، جواز المسح على الجورب وإن كان رقيقًا ، وحكوه عن أبي يوسف ومحمد صاحبي أبي حنيفة وعن إسحاق وداود الظاهري ، وعن أبي حنيفة المنع مطلقًا ؛ وعنه أنه رجع إلى الإباحة . اهـ .

وقال الترمذي : وهو قول غير واحد من أهل العلم ، وبه يقول سفيان الثوري وابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق ، قالوا : يمسح على الجوربين ، وإن لم تكونا منعلين ، إذا كانتا ثخينتين ، ثم قال الترمذي : سمعت صالح بن محمد الترمذي قال : سمعت أبا مقاتل السمرقندي يقول : دخلت على أبي حنيفة في مرضه الذي مات فيه ، فدعا بماء فتوضأ - وعليه جوربان - فمسح عليهما ؛ ثم قال : فعلت اليوم شيئًا لم أكن أفعله ؛ مسحت على الجوربين وهما غير منعلين . اهـ . كلام الترمذي ،

وهو حجة لقول الإمام النووي ، أن أبا حنيفة رجع إلى القول بالمسح على الجوربين غير منعلين .

وقال أبو داود في ((السنن)) : باب المسح على الجوربين : عن أبي قيس الأودي عن هزيل بن شرحبيل عن المغيرة بن شعبة : أن رسول الله ﷺ توضأ ومسح على الجوربين والنعلين . قال المنذري في ((تهذيب سنن أبي داود)) : وأخرجه الترمذي وابن ماجه ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح ، وقال أبو داود : كان عبد الرحمن بن مهدي لا يحدث بهذا الحديث ؛ لأن المعروف عن المغيرة أن النبي ﷺ مسح على الخفين . قال أبو داود : وروي هذا أيضًا عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ أنه مسح على الجوربين . وليس بالمتصل ولا بالقوي . قال أبو داود : ومسح على الجوربين علي بن أبي طالب ، وابن مسعود ، والبراء بن عازب ، وأنس بن مالك ، وأبو أمامة ، وسهل بن سعد ، وعمرو بن حريث ، وروي ذلك عن عمر بن الخطاب ، وابن عباس ، رضي الله عنهما .

قال المنذري : وذكر أبو بكر البيهقي حديث المغيرة هذا ، وقال : ذاك حديث منكر ، ضعفه : سفيان الثوري ، وعبد الرحمن بن مهدي ، وأحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، وعلي بن المديني ، ومسلم بن الحجاج . والمعروف عن المغيرة حديث المسح على الخفين . ويروى عن جماعة من الصحابة أنهم فعلوه ، والله أعلم بالصواب . هذا آخر كلام البيهقي . وأبو قيس الأودي اسمه عبد الرحمن بن ثروان الأودي الكوفي ، وهو وإن كان البخاري قد احتج به ، فقد قال الإمام أحمد : لا يحتج بحديثه ، وسئل عنه أبو حاتم الرازي فقال : ليس بالقوي ، وهو قليل الحديث ، وليس بحافظ . قيل له : كيف حديثه ؟ قال : صالح ، هو لين الحديث . اهـ . كلام المنذري .

وقال الإمام الحافظ ابن القيم رحمه الله في ((تهذيبه لسنن أبي داود)) : وقال النسائي : ما نعلم أحدًا تابع هزيلاً على هذه الرواية . والصحيح عن المغيرة : أن النبي ﷺ مسح على الخفين . وقال البيهقي : قال أبو محمد - يعني يحيى بن منصور - : رأيت مسلم بن الحجاج ضعف هذا الخبر ؛ وقال أبو قيس الأودي وهزيل بن شرحبيل لا يحتملان هذا مع مخالفتهما جملة الذين رووا هذا الخبر عن المغيرة فقالوا : مسح على الخفين . ثم أطال ابن القيم النقل عن الأئمة الذين ذكرهم المنذري في تضعيفهم للحديث ، ثم قال : قال ابن المنذر : يروى المسح على الجوربين عن تسعة من أصحاب النبي ﷺ ، ثم ذكرهم كما ذكرهم ابن قدامة فيما سبق النقل عنه ، ثم قال : وزاد أبو داود : إمامة وعمرو بن حريث وعمر بن الخطاب وابن عباس ، فهؤلاء ثلاثة عشر صحابيًا ، والعمدة في الجواز على هؤلاء ، رضي الله عنهم ، لا على حديث أبي قيس ، مع أن المنازعين في المسح متناقضون ، فإنهم لو كان هذا الحديث من جانبهم لقالوا : هذه زيادة ، والزيادة من الثقة مقبولة ولا يلتفتون إلى ما ذكروه هنا من تفرد أبي قيس ، فإذا كان الحديث مخالفًا لهم أعلوه بتفرد راويه ، ولم يقولوا زيادة الثقة مقبولة ، كما هو موجود في تصرفاتهم ، والإنصاف أن تكيل لمنازعك بالصاع الذي تكتال به لنفسك ، فإن في كل شيء وفاء وتطفيفًا ، ونحن لا نرضى هذه الطريقة ، ولا نعتمد على حديث أبي قيس ، وقد نص أحمد على جواز المسح على الجوربين ، وعلل رواية أبي قيس ، وهذا من إنصافه وعدله ، رحمه الله . وإنما عمدته هؤلاء الصحابة وصريح القياس ، فإنه لا يظهر بين الجوربين والخفين فرق مؤثر يصح أن يحال الحكم عليه ، والمسح عليهما قول أكثر أهل العلم ، منهم من سَمَّينا من الصحابة ، وأحمد ، وإسحاق بن راهويه ، وعبد الله بن المبارك ، وسفيان الثوري ، وعطاء بن أبي رباح ، والحسن

البصري ، وسعيد بن المسيب ، وأبو يوسف ، ولا نعرف في الصحابة مخالفًا لمن سمينا .

وأما حديث أبي موسى الذي أشار إليه أبو داود فرواه البيهقي من حديث عيسى بن يونس عن أبي سنان عيسى بن سنان عن الضحاك بن عبد الرحمن ، عن أبي موسى قال : رأيت رسول اللّه ﷺ يمسح على الجوربين والنعلين . وهذا الحديث له علتان ذكرهما البيهقي :

أحدهما : أن الضحاك بن عبد الرحمن لم يثبت سماعه من أبي موسى .

الثانية : أن عيسى بن سنان ضعيف . قال البيهقي : وتأول الأستاذ أبو الوليد حديث المسح على الجوربين والنعلين ؛ على أنه مسح على جوربين منعلين ، لا أنه جورب على الانفراد ونعل على الانفراد .

قُلْتُ : وهذا مبني على أنه يستحب مسح أعلى الخف وأسفله ؛ والبيان في ذلك مفقود ، والظاهر أنه مسح على الجوربين الملبوس عليهما نعلان منفصلان ، هذا المفهوم منه ، فإنه فصل بينهما وجعلهما سنتين ، ولو كانا جوربين منعلين لقال : مسح على الجوربين المنعلين ، وأيضًا فإن الجلد الذي في أسفل الجورب لا يسمى نعلاً في لغة العرب ، ولا أطلق أحد عليه هذا الاسم ، وأيضًا فالمنقول عن عمر بن الخطاب في ذلك : أنه مسح على سيور النعل التي على ظاهر القدم مع الجورب ؛ فأما أسفله وعقبه فلا ؛ وأيضًا فإن تجليد أسافل الجوربين لا يخرجهما عن كونهما جوربين ؛ ولا يؤثر اشتراط ذلك في المسح ؛ وأي فرق بين أن يكونا مجلدين أو غير مجلدين ؟

وقول مسلم : لا يترك ظاهر القرآن بمثل أبي قيس وهزيل . جوابه من وجهين :

أحدهما : أن ظاهر القرآن لا ينفي المسح على الجوربين إلا كما ينفي المسح على الخفين ، وما كان الجواب عن مورد الإجماع فهو الجواب في مسألة النزاع .

الثاني : أن الذين سمعوا القرآن من النبي ﷺ وعرفوا تأويله مسحوا على الجوربين ؛ وهم أعلم الأمة بظاهر القرآن ومراد اللّه منه ، واللّه أعلم . اهـ .

وقد ذكر الإمام الزيلعي في ((نصب الراية)) (ج١ ص١٨٤- ١٨٦) طرق حديث المغيرة ونقل كلام الأئمة في نقده ، ثم ذكر الآثار في المسح على الجوربين فقال : روى عبد الرزاق في ((مصنفه)) ؛ أخبرنا الثوري عن الزبرقان ، عن كعب بن عبد اللّه قال : رأيت عليًا بال فمسح على جوربيه ونعليه ، ثم قام يصلي .

أخبرنا الثوري عن منصور عن خالد بن سعد قال : كان أبو مسعود الأنصاري يمسح على جوربين له من شعر ونعليه .

أخبرنا الثوري عن الأعمش عن إبراهيم عن همام بن الحارث عن أبي مسعود نحوه .

أخبرنا الثوري عن يحيى بن أبي حية عن أبي الخلاس عن ابن عمر أنه كان يمسح على جوربيه ونعليه .

أخبرنا الثوري عن الأعمش عن إسماعيل بن رجاء عن أبيه قال : رأيت البراء بن عازب يمسح على جوربيه ونعليه .

أخبرنا معمر عن قتادة عن أنس بن مالك أنه كان يمسح على الجوربين .

أخبرنا معمر عن الأعمش عن إبراهيم أن ابن مسعود كان يمسح على خفيه ويمسح على جوربيه . . اهـ .

وقال أخونا العلامة المحقق الشيخ أحمد محمد شاكر في تعليقه على ((سنن الترمذي)) - بعد نقله انتقاد العلماء على الترمذي في قوله في حديث المغيرة بن شعبة : توضأ النبي ﷺ ومسح على

الجوربين والنعلين ؛ أنه حديث حسن صحيح - وذكر ما ردوا به على الترمذي في جرح أبي قيس الأودي وهزيل بن شرحبيل ، وليس الأمر كما قال هؤلاء الأئمة ، والصواب صنيع الترمذي في تصحيح هذا الحديث ، وهو حديث آخر ، غير حديث المسح على الخفين . وقد روى الناس عن المغيرة بن شعبة أحاديث المسح في الوضوء ، فمنهم من روى المسح على الخفين ، ومنهم من روى المسح على العمامة ، ومنهم من روى المسح على الجوربين ، وليس شيء منها بمخالف للآخر ، إذ هي أحاديث متعددة ، وروايات عن حوادث مختلفة ، والمغيرة صحب النبي ﷺ نحو خمس سنين ، فمن المعقول أن يشهد من النبي ﷺ وقائع متعددة في وضوئه ويحكيها ؛ فيسمع بعض الرواة منه شيئًا ويسمع غيره شيئًا آخر ؛ وهذا واضح بديهي .

ثم قال أيضًا : اشتراط أن يكونا ثخينين - يعني الذي قاله الترمذي - ليس عليه دليل أصلاً ؛ وقد ثبت المسح على الجوربين من غير قيد بوصف معين ، فيبقى على الأصل في جوازه على كل جوربين ، وقد اختلفوا في ذلك اختلافًا كثيرًا ، وأطال الشارح المباركفوري الكلام عليه هنا (ج١ ص١٠٠- ١٠٤) . وانظر ((المحلى)) لابن حزم (ج٢ ص٨٥- ٨٧) ، وقد صح القول به عن كثير من الصحابة .

ومما صح من ذلك عن أنس ما نقله ابن حزم من طريق الضحاك بن مخلد عن الثوري حدثني عاصم الأحول قال : رأيت أنس بن مالك مسح على جوربيه . وعن حماد بن سلمة عن ثابت البناني وعبيد الله بن أبي بكر بن أنس بن مالك قالا جميعًا : كان أنس بن مالك يمسح على الخفين والجوربين والعمامة . هذان إسنادان صحيحان .

ثم قال : وروى الدولابي في ((الكنى والأسماء)) (ج١ ص١٨١) عن النسائي عن الفلاس قال : أخبرني سهل بن زياد أبو زياد الطحان قال : حدثنا الأزرق بن قيس قال : رأيت أنس بن مالك أحدث فغسل وجهه ويديه ، ومسح على جوربين من صوف ، فقلت : أتمسح عليهما ؟ فقال : إنهما خفان ولكنهما من صوف . وهذا إسناد جيد ، ثم قال : وهذا الأثر عن أنس يدل على أنه - وهو من أهل اللغة - يرى أن الجوربين يطلق عليهما اسم الخفين أيضًا ، وأن المقصود من ذلك ما يستر الرجلين من غير نظر إلى ما يُصنع منه : جلدًا ، أو صوفًا ، أو غير ذلك . اهـ .

قال أبو طاهر - عفا الله عنهما - فيما نقلنا من كلام الأئمة المحققين ، والعلماء المنصفين من الأولين والآخرين ، والذي تركنا نقله أيضًا كثير : يتبين وجه الصواب في جواز المسح على الجورب واضحًا جليًا ، وأنه السنة التي لا غبار عليها إلا عند من يضيق صدره حرجًا بغير ما اعتاد مما رأى آباءه والناس عليه ، وأولئك هم المقلدون تقليدًا على غير علم ولا بينة ، أما السلفيون المنصفون الذين هداهم الله إلى اتباع الحجة والدليل حيث كانتا ؛ والفقه في الدين ، فإن نفوسهم تطمئن لهذه السنة أتم الاطمئنان ، ويسلمون لها تسليمًا .

جعلنا الله من هؤلاء المنصفين المهتدين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

---

(١) الجورب كلمة فارسية ، معناها : ما يُلبس في الرجلين من غير الجلد ، وهو المعروف في زمننا بالشراب ؛ حرفت بإبدال الجيم شينًا وحذف الواو وزيادة ألف ، وقد أوهم العوام وأشباههم تغير الاسم على هذه الصورة أن الحكم يتغير إلى عدم جواز المسح ، وادعى بعضهم أن الجورب المعروف اليوم من القطن ونحوه لا يمكن متابعة المشي فيه ؛ فمشيت أمامهم به مسافة بعيدة .

(٢) الصفيق : الثخين .

(٣) الخُف : ما كان له رقبة تستر بعض الساق ، والنعل ، ما دون ذلك .

الصيام

لفضيلة الشيخ :

محمد حامد الفقي رحمه الله

مؤسس جماعة أنصار السنة المحمدية

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۞ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة : ١٨٣ - ١٨٥] .

وما أوحى الله تعالى بالشرائع إلى من يصطفيهم من أنبيائه في مختلف العصور ، وما أنزل من أحكام وعبادات في تلك الشرائع الإلهية ، إلا لإصلاح الإنسان وتزكية نفسه وتطهيرها ، مما يحاول الشيطان أن يكدرها به من وساوس ومفاتن ؛ وما يزينه لها من فسوق وعصيان ، كلما ازدادت منه واستحبته كلما ارتكست في مهاوي السّفال الحيواني وتلطخت في حمأة الشيطانية النجسة الرجسة .

وكلما تطهرت منها ، وتأصلت فيها كراهيتها ، وامتزج بذراتها محبة الله ومحبة طاعته ، وقامت له سبحانه على قدم العبودية وأخلصت له ذل الخضوع ، وصدقت في رهبة الخشوع ، كلما ارتفعت في معارج الكمال ؛ وارتقت إلى درجات الحياة الهنيئة والعيش الرغد في الحياة الدنيا ؛ ولتحظى يوم القيامة بمقام الأبرار .

وما كمال الإنسان إلا بغلبة روحانيته العاقلة على حيوانيته الجاهلة ، وقهر معنويته الحكيمة لماديته السفيهة الطائشة ؛ وسيطرة قلبه الصالح ، ونفسه المطمئنة على شهواته الجامحة ونفسه الأمارة .

تلك هي الكمالات الإنسانية ؛ وما تكون هذه الكمالات ولا شيء منها إلا من غراس النبوة ، وما نماؤها وامتداد ظلها ، وكثرة ثمارها إلا بسقيها من ماء العلم الإلهي الذي ينزل من السماء صافيًا على أرض القلوب فتهتز وتربو ، وتخرج من كل الثمرات الطيبات المباركات ، ما به سعادة الإنسانية ، وفلاحها في دنياها وآخرتها : في الفرد والأسرة والجماعة والأمة ، وفي القرون والأجيال يبقى نورها مشعًا للناس يقتبسون منه ، ويستمر شذاها عبقًا يفوح عبيره لكل مستمتع ، وصوتها غردًا في أذن كل محب صدق في حبه ، إذ عرف أن مكانة القلب الرفيعة لا يليق أن يتبوأها إلا محبة الله ومحبة ما يحبه الله من قول وعمل وهدي وسمت ، وخلق وصفة ، وظاهر وباطن : ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة : ٥] .

جعل الله الرحمن الرحيم من تلك العبادات حبالاً يصل بها قلب عباده المهتدين إلى حضرة قدسه ، ويجذبهم بها إلى رياض قربه ؛ ليتمتعوا بما مد لهم من موائد فضله العظيم ولينعموا على بساط رحمته بما وهب لهم من أعطياته الواسعة التي لا تساوي الدنيا وأمثالها معها بجانبها عندهم قلامة ظفر ولا دونها : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة : ١٧] ، ((أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر)) .

وإن قومًا فهموا في تلك العبادات التي هي منح إلهية ، وصلات رحمانية ، ونفحات قدسية : أنها

تكاليف وأعمال قهرية ومشقات تأديبية لمحرومون كل الحرمان من ذوق شرابها العذب ، وورود منهلها النمير ، وبعيدون كل البعد عن اكتناه رُوحها السامية ، وعلى بصائرهم غشاوة أن تشهد إشراق هذه النفحات على الأرواح فتسمو بها إلى عليين .

ليست العبادات تكليفًا ، بل هي تشريف ، ليست العبادات مشقات ، بل هي نعيم ومسرات ، ولكن أكثر الناس لا يعقلون .

لماذا كانت منحة الصلاة للحبيب ﷺ ليلة عرج به إلى فوق السماوات ، حتى كان قاب قوسين أو أدنى ؟ ذلك لأنه أسعده في هذه الليلة بلذة القرب ، ووصله في ساعة القرب بحديث الحبيب إلى حبيبه ، فذاق قلب الرسول ﷺ من ذلك اللذة الروحية العليا ، وأشرقت نفسه الكريمة في ذلك الوقت بنور صفوة الصفوة ، وخيرة الخيرة ، وسمو ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾ [الإسراء : ١] .

فكان من الصعب على الحبيب ﷺ البعد بعد نعيم القرب ، وكان الله به أرحم من أن يمنعه تلك النعمة بعد أن عرفها وتمتع بروحها ، فمنحه الصلاة ؛ لتكون الصلة بين الحبيب وحبيبه كلما اشتاق إلى لذة القرب ، ومن ثم قال : ((وجُعلتْ قرة عيني في الصلاة)) . وكان يقول : ((يا بلال ، أرحنا بالصلاة)) . ويقول عن الله ﷻ : ((قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ، ولعبدي ما سأل ، فإذا قال العبد : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ . قال الله تعالى : حمدني عبدي ، وإذا قال العبد : ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ . قال الله تعالى : أثنى عليَّ عبدي ، وإذا قال العبد : ﴿ مالك يوم الدين ﴾ . قال : مجدني عبدي . فإذا قال : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ . قال : هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل . فإذا قال : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ . قال : هذا لعبدي ، ولعبدي ما سأل)) .

العبد يقبل على ربه ، والله يتكرم بالإقبال على عبده ، العبد يستفتح باب ربه ، والله يتفضل بفتح باب الوصول لعبده ، العبد يكلم ربه بأصدق الحديث وأحب الذكر إلى ربه ، والله يسمع لعبده ويجيب عبده كلمة بكلمة ، ودعوة بإجابة .

• أقدم على ربك على متن : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ، وعلى نور : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ .

وافهم قول النبي ﷺ : ((إن العبد إذا قام يصلي فإنه إنما يناجي ربه ، فلينظر أحدكم من يناجي)) . المناجاة : هي الكلام الذي لا يدركه إلا المتحدثان مع بعضهما .

الله أكبر . هذا كله يسمى تكليفًا ، ويقال عليه : إنه مشاق تأديبية ، سبحان الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وهذا وربك شأن العبادات كلها من صيام وغيره .

فاسمع إلى مبدأ خطاب الله في الصيام ، ودعوته أحبابه إلى هذا الباب من الجود والرحمة ، يناديهم بأحب الألقاب وأطيب الأسماء ، وأعذبها على قلوبهم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ﴾ ، وهو مع عذوبته وجماله خطاب تكرمة وتشريف ، كشأنه في خطاب حبيبه ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾ ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ ﴾ ، ثم يقول : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ، واجمع إلى هذا قول النبي ﷺ : ((الصوم جُنة)) .

فالجُنة : هي الوقاية التي يقي المؤمن بها إيمانه من كل ما يخافه عليه ، فإنه ليس عند المؤمن أعز ولا أغلى من إيمانه ، فهو يخاف عليه أشد من خوفه على بصره وسمعه وعافيته في كل جسمه ؛ فبماذا يقي إيمانه مما يكره ؟ وبم يجن إيمانه ويحفظه مما يخاف ؟ لا يجد لإيمانه وقاية وصيانة إلا من طريق العلم النافع ، وليس له علم نافع إلا من القرآن الذي هو الروح ، وهو النور ؛ وهو الهدى ، وهو الفرقان ، وهو الذكر الحكيم ؛ فيلبس من درع القرآن ، وهداية القرآن وأدب القرآن ومواعظ القرآن ، وشرائع القرآن ما يجن إيمانه ويقيه كل ما يكدره ، أو ينقصه أو يذهب به من بذاء اللسان وسفه الأحلام ، والجهل والفسوق والعصيان ، وما إلى ذلك من كل ما يوسوس به أو يزينه شياطين الإنس والجن ، في السر والعلن ، والظاهر والباطن ، والقلوب والأعمال .

الصوم جنة ؛ لأنه يدخل في حضرة القرب والمراقبة للّه والمعية الخاصة من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ؛ ساعات من النهار طويلة يجاهد فيها كل عوامل الشر : من نفس وقرين وشيطان ؛ وفتن محيطة . وكلما دعاه من تلك داع ، صاح به : إني مع ربي ، إني مع سيدي ، إني مع مليكي ، إني في رياض القرب ، إني على موائد الفضل ، فاذهب عني ، لا تحرمني من ربي ولا تقطعني عن ربي ، ولا تحل بيني وبين ربي أرحم الراحمين الذي يغذي روحي وقلبي من غذاء رحمته ؛ ويفيض على نفسي من سحائب فضله وبره . وهذا سر قول النبي ﷺ : ((إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقين)) .

فإذا ما حظيتَ أيها الصائم بلذة هذا القرب الإلهي ، وإذا ما سعدت بنفحة من نفحات ((عند ربي)) زكتْ نفسُك ، واتسع مدى نور قلبك ، وغلبت عليك الحكمة في قولك ، وعملك ، وبرئت من مرض السفه والطيش ، والجهل وسوء الأخلاق .

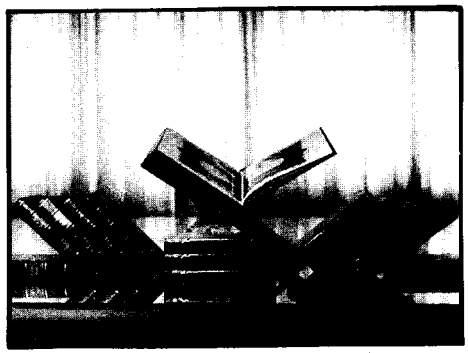

فإذا ما غربت الشمس تبلغت ببعض ما يقيم صلبك إبقاءً على وعاء تلك الروح ، وحفظًا لسياج القلب ، ولم ترتع في الأطعمة والأشربة كالحيوان حتى ينتفخ ، ولا يجد للنفَس محلاً .

فإذا ما جاء الليل ونامت أعين الغافلين ، قمت تناجي ربك ، وتتحدث إليه بكلامه المجيد ، ووجدت من صيامك النهار أكبر عون لقلبك الصافي ونفسك الزكية ، على لذة هذه المناجاة وتلاوة آي الذكر الحكيم ، ولقيت من ذلك لذة دونها واللّه كل ملاذ الحياة الدنيا ، وشهدت عندئذ سر جعل اللّه الصيام في شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، ورأيت من أبواب الفقه والفهم في آيات القرآن ، وقطفت من ثماره الدانية بصفاء نفسك وطهارة قلبك ، وإشعاع روحك ، ما ترى منه العجب العجاب ، وهذا - واللّه أعلم - سر من أسرار : ((كان جبريل يدارسني القرآن في رمضان)) .

وإن ثمرات القرآن وخيراته الحسان - واللّه - لا ينالها إلا من غلب صفاء قلوبهم وطهارة نفوسهم على ظلمات حيوانيتهم ، وشهوات بطونهم وفروجهم ، والحيوان الشهواني المظلم ما له وللقرآن وهداه ونوره وفرقانه ورحماته ؟ أولئك عنها مبعدون قلوبهم في أكنة مما يدعون إليه ،

وفي آذانهم وقر ، وهو عليهم عمى . نعوذ باللَّه من ذلك ونسأله العافية .

وهل لك أيها الصائم أن تلحظ سر يتيمة العقد في آي الصيام : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٦] ؟

تأملها جيدًا ، ثم ارجع إلى قراءة الآيات من أولها ، وقف عند هذه الآية وتمعن فيها كثيرًا ، فإنه سينفتح لك منها سر الصيام ، وتشهد منها حكمة الصيام ؛ وأنه القرب الحقيقي من اللَّه الذي يقول لك : لا تستصعب الأمر فهو عليك هين ويسر ، إذا رشدت وهديت ، ولا تعبأ بما يلقى في طريقك من عقبات ؛ فاقتحمها وأسرع إلى ربك - تلق ربك منك قريبًا .

أقدم على ربك على متن : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ، وعلى نور : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ .

واطرح تحت قدمك تلك الخزعبلات والسفاسف الحيوانية التي طالما حشى بها المحجوبون رأسك ، وسودوا بها صفحهم ، من أن حكمة الصيام أن تتعذب النفس بألم الجوع والظمأ لتحس بحاجة الفقير والمسكين .

أف لهذا القول ، فواللَّه ما تحس نفس تعرف هذا للصيام إلا إحساس الحيوان الذي يربط في الوتد ويمنع عن الكلأ والمرعى ، فما يكاد يفلت من رباطه حتى يرتع ويرتع ويرتع ، إلى أن تمتلئ بطنه فيستلقي في غيبوبة من الوخم والبطنة ، فلا يعي ولا يعقل ؛ ولا يحس بنفسه ولا بفقير ولا مسكين ، وما يزداد بالصيام إلا حيوانية شرسة ، وظلمة فوق ظلمة ، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه .

مساكين - واللَّه - هؤلاء مساكين ، ما فقهوا من الدين ولا من الطاعة شيئًا ، حتى زعموا أن الصلاة وقيام رمضان ما هو إلا حركات رياضية لهضم ما ملئوا به بطونهم من الطعام والشراب ، فكان ذلك عندهم نقرًا وإسراعًا وعبثًا بالصلاة ، ولعبًا بدين اللَّه ، وإنا للَّه وإنا إليه راجعون . اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون .

وحين استولت على نفوسهم هذه السخافات والجهالات فأكسبتها ظلمات فوق ظلمات ، قالوا في الدين بغير علم ولا هدى ؛ إذ زعموا أن الصيام مع ترك الصلاة ينفع ، وصور لهم عبثهم وجلهم : أن هذا فرض وهذا فرض ، وهذا تكليف وهذا تكليف . وهذا حظهم من الدين إذ أخذوه من غير أصله ، واستقوه من حثالة الآراء ، وغسالة الأفكار .

أما إنهم لو استقوا الدين من منبعه الصافي : القرآن والسنة الصحيحة الطيبة المباركة ، لوجدوا أن كل تلك العبادات عقد واحد انتظمت قلب العبد لتوصله إلى ربه ، وكلها مرتبطة بالآخر أوثق ارتباط ؛ ومتصل به أتم اتصال ، ومرجعها إلى الصلاة التي يقول فيها الرسول ﷺ : ((رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة)) ، وعلى قدر حظ العبد من الصلاة على قدر حظه من الإسلام ، فمن لا حظ له في الصلاة فلا حظ له في الإسلام ، وإنها هي أوثق الصلات ، وأقوى عراها باللَّه سبحانه ، فإذا ما انفرط العقد من عندها ، فمحال أن ينتظم من أي ناحية سواها أي محال ، مهما حاول وموه الذين لا يفهمون إلا ظواهر القول وقشور الكلام .

فيا أيها الذين آمنوا وثقوا رباط قلوبكم باللَّه حق التوثيق ، و﴿ حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ ﴾ [البقرة : ٢٣٨] .

وافتحوا أبواب القرب من اللَّه على مصاريعها في شهركم هذا بالصوم ، وأجنوا فيه قلوبكم وإيمانكم بتلاوة القرآن ، والتخلق بخلق القرآن ، والتأدب بأدب الرسول ﷺ ، وما كان أدبه إلا القرآن ، ولا تضيعوا على أنفسكم هذه الفرص السعيدة ، فالمحروم في الدنيا والآخرة من ضيعها . ونسأل اللَّه لنا ولكم الهداية والتوفيق .

محمد حامد الفقي

العيـــد

بقلم فضيلة الشيخ :
محمد حامد الفقي (رحمه الله)
مؤسس جماعة أنصار السنة المحمدية

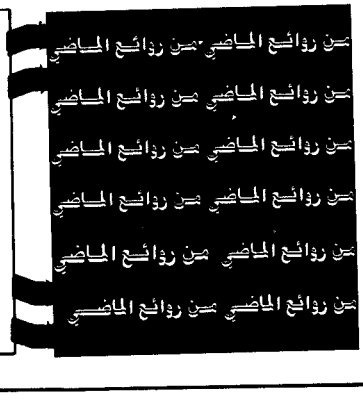

روى أبو داود في « سننه » من حديث أنس بن مالك ، رضي الله عنه ، قال : قدم رسول الله ﷺ المدينة ، ولهم يومان يلعبون فيهما ، فقال : « ما هذان اليومان ؟ » قالوا : كنا نلعب فيهما في الجاهلية ، فقال : « إن الله أبدلكم بهما خيرًا منهما : يوم الأضحى ، ويوم الفطر » .

قال في « لسان العرب » : العيد ؛ ما يعتاد من نُوَب وحزن وهَم وشوق ونحوه .

قال الشاعر :

❁ والقلب يعتاده من حبها عيد ❁

وقال يزيد بن الحكم الثقفي يمدح سليمان بن عبد الملك :

أمسى بأسماء هذا القلب معمودًا
إذا أقول صحا يعتاده عيدا

وقال المفضل : عادني عيدي : أي عادتي .

وأنشد :

❁ عاد قلبي من الطويلة عيد ❁

أراد بالطويلة : روضة الصمَّان ، تكون ثلاثة أميال في مثلها . و« العيد » كل يوم فيه جمع ، واشتقاقه من عاد يعود ، كأنهم عادوا إليه . أو : من العادة ؛ لأنهم اعتادوه . والعيد عند العرب : الوقت الذي يعود فيه الفرح أو الحزن . وقال ابن الأعرابي : سمي العيد عيدًا ؛ لأنه يعود كل سنة بفرح مجدد . اهـ .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ، رحمه الله ، في « اقتضاء الصراط المستقيم » العيد : اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد ، عائد : إما بعود السنة ، أو بعود الأسبوع ، أو الشهر ، أو نحو ذلك : فالعيد يجمع أمورًا . منها : يوم عائد ، كيوم الفطر ، ويوم الجمعة . ومنها : اجتماع فيه ، ومنها : أعمال تجمع ذلك من العبادات ، أو العادات ، وقد يختص العيد بمكان بعينه ، وقد يكون مطلقًا .

وكل من هذه الأمور يسمى عيدًا ، فالزمان ؛ كقوله ﷺ ليوم الجمعة : « إن هذا يوم جعله الله للمسلمين عيدًا » . والاجتماع والأعمال ؛ كقول ابن عباس : (شهدت العيد مع رسول الله ﷺ) . والمكان : كقوله ﷺ : « لا تتخذوا قبري عيدًا » . وقد يكون لفظ « العيد » اسمًا لمجموع اليوم والعمل فيه . وهو الغائب ، كقول النبي ﷺ لأبي بكر - وقد رأى صبيتين تغنيان مع عائشة في بيت رسول الله ﷺ في يوم عيد ، فانتهرهما -: « دعهما يا أبا بكر ، فإن لكل قوم عيدًا ، وهذا عيدنا » . اهـ .

فمما تقدم يتبين ؛ أن « العيد » هو الزمان والمكان - أو كلاهما - الذي يحتفل الناس به

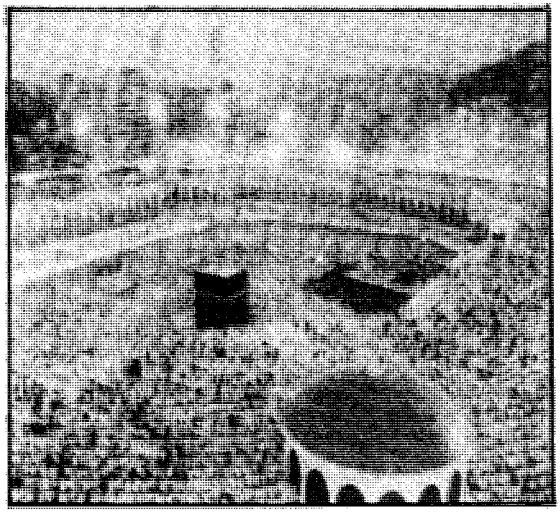

وفيه ، لما جنوا من خير كبير يفرحون به ويسرون له ؛ لأنه ينفعهم نفعًا عظيمًا في شئون حياتهم ، وهم لذلك يحفلون به ، ويحرصون عليه ، ويهتمون له ، فيختص من المظهر والأعمال : ما ليس لغيره ، والناس بطبيعتهم جاهلون ، حتى يعلمهم الله ، عاجزون حتى يقدرهم الله ، فهم لذلك : لا يعلمون بمجرد عقولهم واستحساناتهم الخير والنافع لهم - وبالأخص في الأمور العبادية - حتى يبين الله لهم ، ويمد لهم بالمعونة والتوفيق على القيام بها في الوقت وعلى الصفة التي تفيدهم وتنفعهم في دنياهم وآخرتهم ، ولا يزال الناس على الهدى والصراط السوي ، مضمون لهم الفوز بكل ما يحبون ، والنجاة من كل ما يكرهون : ماداموا يعرفون لأنفسهم الجهل الطبيعي ، والعجز الفطري ، ويعرفون بجانب ذلك : ما امتحنهم الله به من النفس الأمارة وجندها ، من الهوى والشهوات ، والشيطان الرجيم ، فأما إذا جهلوا ذلك من أنفسهم ، وجهلوا شدة حاجتهم وفقرهم إلى الله ربهم - يعلمهم ويسددهم ويوفقهم ويعينهم - فما أسرع ما يداخلهم الغرور بأنفسهم ، ويغلبهم عدوهم ، فيستغل نفسهم الأمارة بهواها وشهواتها ، ويمتطيهم أضل من الأنعام ، ويذهب بهم كل مذهب في الخيبة والخسران والهلاك في الدنيا والآخرة ، ونسأل الله العافية ، فيزين لهم سوء أعمالهم ، ويحسن لهم السوء ، ويطيب لهم الخبيث ، ولا يزال هذا شأنه معهم - وهم على هذه الجهالة - حتى يعتقدوا الشرك توحيدًا ، والكفر إيمانًا ، والفسوق عبادة ، والعصيان طاعة : ﴿ ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ [القصص : ٥٠] .

وأنت ترى اليوم أكثر الناس قد حقت عليه كلمة الله - بتدسيسهم أنفسهم في ظلمات الجاهلية العمياء والتقاليد - فأصبح كل أمرهم فرطًا ، وكل دينهم باطلاً ، قد ضل سعيهم ، وخابت أمانيهم ؛ لأنهم بغوا واستكبروا ، فلم يعرفوا لأنفسهم الفقر الذاتي ، وتقليب القلوب واضطرابها في شئون الحياة بالأهواء ، فقست قلوبهم لحرمانها من تجديد الأغذية العبادية ، ونسوا شدة الحاجة إلى الله تعليمًا وتوفيقًا ومعونة .

فلنعد لأنفسنا ولنحاسبها : هل نحن ممن تأهل لهذا العيد ، واستحق أن يكون من المسلمين ، الذين عناهم الله بقوله : ﴿ ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون ﴾ [البقرة : ١٨٥] ؟ والذين عناهم رسول الله ﷺ بقوله : « إن الله أبدلكم بهما خيرًا منهما : يوم الأضحى ، ويوم الفطر » ؟ والرجاء في الله وحده أن يجعلنا منهم .

فهل نحن قد صبرنا أنفسنا وحبسناها في أيام رمضان ولياليه على الوقوف مع ربنا ، ومع ما يربينا من آيات وسنن كونية ، وآيات قرآنية ، وسنن رسالية ، وشرائع وأحكام عقيدية وعبادية ، فردية واجتماعية ، ونعم رحمانية ، وعبر وعظات

في الأنفس والآفاق ؟

هل عقلنا لماذا أدخلنا ربنا في « مَصَح » رمضان ، وعقلنا لماذا صبرنا أنفسنا مع ربنا وآياته ونعمه في طعامنا وشرابنا ، وكل ما تشتهي أنفسنا ، فلا نتناولها إلا عند الوقت الذي حدده الحكيم الخبير ؟ وفي أمراض أهوائنا فعرفناها وتخلينا عنها وطردناها عن أرواحنا وقلوبنا ، كما أرشدنا الحكيم الخبير ؟ وفي ألسنتنا وجوارحنا ، فحبسناها على ما أحب لنا الحكيم الخبير ؟ وفي أموالنا ، فأنفقناها في الوجوه التي أحبها وأرشدنا إليها الحكيم الخبير ؟ هل جاهدنا أنفسنا ، وكبحنا جماحها ، وروضناها يومًا بعد يوم ، وساعة بعد ساعة - في نهار رمضان وليله - حتى استقامت على السبيل القاصد في شئونها الحسية والمعنوية ، وجبلاتها وطبائعها على ما يحب لنا الحكيم الخبير ؟ هل عرفنا فضل الأغذية والأدوية والعلاجات التي جعلها لنا في « المصح » ربنا الحكيم الخبير ؟

ها نحن قدرنا على بهيميتنا ومنعنا سفهها من الدخان ستة عشر ساعة - أي ثلثي اليوم وأكثره - فهل قدرنا بذلك أن نقهرها في الثلث الآخر ، ونمنعها هذا السرف والسفه ، الذي يضر صحتها ، ويضيع من مالها ومال الأمة - وهو قوام الحياة - ما هي بأشد الحاجة إليه لضرورة العيش ، للزوج والولد والمرض والحوادث ، في الحاضر والمستقبل ما يغنينا عن إراقة ماء الوجه بالاستدانة وعما ينزل بنا إلى قرار التسفل والخيبة والخسران من السرقات والنصب والاحتيال ؟

ها نحن قمنا ليل رمضان ، فهل تعلمنا منه أن نأخذ أنفسنا بالحب الصادق للصلاة ، والرغبة المسعدة في طول الوقوف بين يديه ، ومناجاته بكلامه الذي أنزله في شهر رمضان هدًى للناس وبينات من الهدى والفرقان ؟

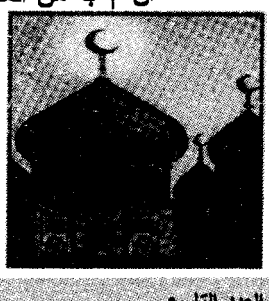

ها نحن تلونا القرآن كله وسمعناه - والحمد لله - في قيام رمضان ، فهل تدبرنا آياته ، وفقهنا معانيه ، ونزلناها على أنفسنا ومجتمعنا بأمراضه وعلله ، فاستفدنا منه الإسلام الصحيح ، أو الدين الحق ، والهدى الطيب بعقيدته وشرائعه وعظاته وأحكامه وعبره ، فخرجنا منه أقوياء الإيمان بربنا ، أقوياء اليقين بأمره ووعده به ، أقوياء الإيمان والاتباع لرسوله ﷺ الذي كان أدبه وخلقه هذا القرآن ؟ كارهين ماقتين لكل ما شرعت الجاهلية العمياء من أعياد وثنية ، وعادات شركية ، وخرافات شيطانية ، وأهواء ضالة مضلة ؟

وبالجملة : هل قدرنا « المصح الكريم » فأحسنا المقام فيه ، والانتفاع بما أعطانا ربنا فيه ، فخرجنا منه ذوي قلوب سليمة ، وذوي أرواح زاكية ، وذوي أخلاق عالية ، وذوي صدور طاهرة من حظ عدونا ، وما يوسوسه ويقذفه فيها ، زاكية كالزجاجة الصافية بما أفاض عليهما الرحمن من نور كتابه الكريم ، فنكون ذوي سداد وحكمة ورشاد في كل ما سنأتي ونذر في حياتنا المستقبلة ، نتحرى فيها السبيل القاصد الذي شرعه لنا ربنا الحكيم الخبير ؟

إن كان هذا شأننا - وأرجو أن يكون كذلك -: فلنفرح ولنُسَر بعيد الفطر المبارك علينا ، وعلى كل من وفق لتقدير هذا « المصح الكريم » وانتفع على هذا الوجه . وأسأل الله أن يجعلنا وإخواننا المؤمنين كذلك ، وأن يهدي المسلمين ويوفقهم لذلك ، لينالوا به حسنى الدنيا والآخرة ، ويكونوا به من المتقين المفلحين ، الفائزين بالعزة والنصر على أعدائهم من أنفسهم ومن غيرهم .

رب تقبل واستجب إنك أنت السميع العليم ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم .

من روائع الماضي

الحج

هو القصد بقلب مخلص، ونية صادقة، وهمة قوية، ونفس فقيرة إلى ربها وعفوه ورحمته، إلى بيت الله الغني الحميد، الوهاب الكريم، الذي بيده الخير كله وهو على كل شيء قدير.

فهو بذلك قصد خاص، وليس كل من سافر إلى مكة وطاف بالبيت، وحضر المشاعر، وقضى المناسك: حاجًا ولا معتمرًا، حتى يتحقق له هذا القصد وهذه النية والهمة، وتكون له هذه النفس العارفة بحاجاتها، والقاصدة إلى طلبها، والحريصة على نوالها من ربها الغني الحميد.

ولن يتحقق ذلك ويتم كله أو بعضه إلا بالعلم، الذي يوجه القلب مخلصًا مؤمنًا محتسبًا، فتصدق النية بالعلم والجد، وتقوى الهمة، وتستيقظ النفس من غفلاتها فتنتهز الفرصة، مبادرة إلى الساحة الربانية راغبة راهبة، سائلة ضارعة، قد حملت سجل حياتها، وعرفت فيه كل أخطائها، واستعدت لكل خطيئة بندم وتوبة تناسبها، وموقف في ساعة العرض على الرقيب الحسيب يوائمها، مؤمنة بأنه ذو مغفرة للناس على ظلمهم، وأنه سريع الحساب شديد العقاب.

بقلم / الشيخ محمد حامد الفقي. رحمه الله.
مؤسس جماعة أنصار السنة

وشأن الحج والعمرة في هذا كشأن كل العبادات، وشأن العبادات كشأن كل ما يعمله الإنسان، ويتناوله لنفسه أو لغيره، يفسده الجهل به كل الإفساد ويحبطه، فيبوء العامل بأنواع الخسران في المجهود، وإضاعة الوقت، وفقدان كل الأسباب التي اتخذها للعمل، من مادية وغيرها، فلا تكون منه إلا الحسرة المزعجة، والندامة المحزنة أشد الحزن. وعلى عكس ذلك يكون الفوز والنجاح، والربح الذي يملأ النفس سرورا، يدفعها نشيطة قوية إلى الدأب على العمل، والمداومة عليه بصدر منشرح، ونفس مطمئنة - إذا كان قد تهيأ العامل واستعد له بالعلم به، وبكل نواحيه وأسبابه، ومبدئه وطريقه إلى نهايته وعاقبته - وهذا هو معنى قول الرسول ﷺ «إنما الأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى» فإن النفس إنما تعزم على العمل جادة، إذا هي علمت مبدأه وغايته، وما بينهما في الطريق، وما يقوم فيه من عقبات، وتتخذ الأسباب لتذليلها. فتسعى بهذا الجد والعزم النشيط القوي - ثمرة هذا العلم - مستمدة العون والتوفيق والسند من الله ربها في حذر وحيطة، وتثبت في كل خطوة حتى تصل إلى النتيجة، التي تكون ولا بد على قدر هذا العلم والعزم والاستقامة في الطريق. فأما إذا جهلت العمل وخصائصه ومزاياه، ومبدأه وغايته والطريق إليه. فإنها تدخل في العمل بغفلة وجهل وضعف ووهن، فكلما خطت فيه خطوة تعثرت، فلا تصل إلى أي غاية، وقد يخدعها الجهل والغفلة، فتتوهم أنها وصلت إلى غاية. والواقع: أنها إنما وصلت إلى غاية الخيبة والخسران، واعرف ذلك بالقياس على أي عمل مادي من زراعة، أو صناعة، أو تجارة - فإن

كل متناول له على جهل وغفلة لن يبوء إلا بالخسران. والدين والعبادات: إنما هي شأن ككل هذه الشئون، وعمل ككل هذه الأعمال. العامل للكل واحد، والقصد في الكل واحد، وهو الغاية المرجوة - وإن كانت في الزراعة والصناعة ونحوها للجسم البهيمي، وحياته الدنيا، وفي الدين والعبادات لهذا الجسم نفسه وحياته الدنيا واتخاذه مطية صالحة قوية للقلب وللروح، وللحياة الآخرة الطيبة الآمنة من كل تعب ونصب وعناء وشقاء ونكد - ومن ثم اقتضت حكمة العليم الحكيم ورحمة أرحم الراحمين: أن تكون نتائج الأعمال والأحوال الدينية «ثوابًا» يثوب إلى العامل، ويرجع إليه في حياته الأولى، عقب عمله مباشرة، حتى يفحصه، كما يفحص ويَجْرُد التاجر غلته، والصانع صنعته. فما وجد فيه من نقص أو فساد، أو ما يكون عكس الغاية المرجوة والثمرة المقصودة: بادر إلى البحث عن العلة والسبب فيما لحقه من النقص أو الفساد، فتلافاه. وبذلك أبطل الله كل عذر لمعتذر، وبالأخص من يزعمون أن الجهل عذر لهم في تفريطهم وإضاعتهم وإفسادهم دينهم وعباداتهم. وكل أعمالهم الدينية، فإن من السهل اليسير عليهم أن يعلموا ليصلحوا وتصلح عقائدهم وأعمالهم ومقاصدهم ونواياهم، كما يسر الله عليهم العلم بكل أسباب حياة الحيوان، فجودوها وتفننوا فيها، فانقلبت عليهم حسرة وشقاءً لأنهم لم يصلحوها بعلم الدين وعقائده وعباداته التي تصلح القلوب وتهذب النفوس، وتزكي الأرواح والأعمال. فكانوا من الخاسرين في دينهم ودنياهم وآخرتهم. وما ظلمهم الله شيئًا ولكن الناس أنفسهم يظلمون.

وإن من السنن التي لا تتبدل: أن الخبيث لا يلد إلا خبيثًا، والطيب لا يلد إلا طيبا، والجهل لا يثمر إلا جهلا، وأن العلم يثمر علما، والحسن يثمر حسنا، والسوء يثمر سوءا، فكلما حرص الناس على الجهل، ورضوه طريقًا، والتمسوه عذرا، وركنوا إليه: كلما ازدادوا عمى وجاهلية وضلالا وبعدًا عن غايتهم النافعة، فازدادوا إساءة وخبثا في العقائد والأعمال، وازدادت حياتهم سوءا وخيبة، وشقاء ونكدا، ثم ازدادوا بعد ذلك غفلة وموتا في النفوس والضمائر، وقسوة في القلوب، وبعدا عن الإنسانية بمميزاتها الكريمة، وإيغالا في الهمجية والوحشية القاسية، فتكون حياتهم أنكد وأشقى، وهم لا يحاولون أن يحسوا ولا يشعروا بما هم فيه. وإن شعروا في بعض الفترات ذهبوا بجاهليتهم يحاولون الخروج، فيزدادون بتلك المحاولة - الغافلة الجاهلة - ارتكاسا وانغماسا في النكد والشقاء، وقامت الهمجية والوحشية القاسية في طريقهم سدًا وهميًا تردهم إلى شر مما كانوا فيه.

والذي يمزق القلوب حسرة: أن المسلمين - وعندهم هذا القرآن المبين - الذي حفظه الله كما أنزل، آياته بينات، وهداه واضح، وطريقه أبلج، وهدي رسول الله ﷺ يزيد القرآن بيانا، ويزيد محجته بياضا - يعمون عن هذا الهدي، ويذهبون في أشد عمى وصمم وبكم يلتصقون بالغرب الظالم الباغي، ويقفون في ذلة الوضيع، ومهانة الحقير، وصغار الحشرات: يلتمسون منه أسباب الحياة الراضية، والعيش الهنيء، والأمن والعافية للفرد والمجتمع، وهم يقرءون في الصباح والمساء من أخبار هذا الغرب القاسية: ما هو أوضح برهان على أن هذا الغرب بجميع نظمه الديموقراطية والاشتراكية والبلشفية وغيرها، متغلل في أنكد عيش وأشقى حياة، وأنه يعيش بماله الوفير وأدواته الضخمة، وآلاته وصناعاته وفنونه الحربية وغير الحربية على فوهة البركان، الذي يغلي بوحشيتهم وأحقادهم، وبغيهم وظلمهم وفسادهم، وفسوقهم ومعاصيهم، وأنهم - رجالا ونساء، وحكامًا ومحكومين، ورؤساء ومرءوسين

- يعرفون ذلك، وينتظرونه في كل لحظة، من ليل أو نهار، فلا ينام واحد منهم إلا وهو يحلم بأن بأس الله واقع به، وأن القنبلة الذرية أو الهيدروجينية من فوق رأسه، تنتظر أمر الله أن تنفجر، فتدمر عليه مدينته أو قريته، ولا يصحو من نومه ويذهب إلى عمله بالنهار إلا ويساوره هذا التخوف، فتظلم عليه آفاق حياته مهما ترامت أطرافها، وينغص عيشه مهما توفرت فيه بزعمه أسباب الترف.

عجيب والله أشد العجب من غفلة المسلمين، وشدة عماهم عن هذه الحقائق التي هي عندهم بدهية، يتحدث بها عامتهم وخاصتهم، ورجالهم ونساؤهم، ثم يتعلقون - بعد هذا، ومع هذا - بأذيال هذا الغرب الشقي البائس بكل ألوان الشقاء والبؤس، ويقفون منه هذا الموقف الذليل، يستجدونه ما يزعمونه علاجا وإصلاحا للمجتمع، وأسبابا للحياة القوية الآمنة، فلا يؤتيهم إلا حثالة الفساد، ورواسب السوء والفحشاء والمنكر، ثم يرفعون عقيرتهم بأنهم أخذوا مما يعطيهم الحضارة والرقي، ورفه العيش وطيب الحياة؟!

أترون الحياة الآمنة، والعيش الهني بوفرة المال وكثرة المادة، وانطلاق الحيوانية فيكم من عقال الإنسانية المميزة الرشيدة، لتقول من الزور والمنكر ما تشاء باسم «الحرية» ولتفعل من فعال الإثم والفواحش ما تشاء باسم «الحرية» وتأتي من الكفر والفسوق وتروج لهما بما تشاء باسم «الحرية»؟ وتنتهكون الحرمات وتقتلون كل فضيلة، وتحاولون تحطيم سنن الله في المرأة والرجل باسم «الحرية والمدنية» أترون ذلك يؤتي الله به الحياة الآمنة والعيش الهني؟ فقد بلغتم وبلغ إلهكم الغرب من تلك «الحرية والمدنية» الغاية، فأين هي الحياة الآمنة، والعيش الهني يا أيها الناس؟ فإن زعمتم أن قد أوتيتموها، فمالكم تنعقون الليل والنهار بكل لسان وقلم، وتصرخون طالبين إصلاح الفرد والأسرة والمجتمع، ومعالجة ما زعمتموه عدو المجتمع - من الجهل والمرض والفقر - وكلما زدتم مما زعمتوه، كلما ارتفع صوتكم بالشكوى من المتعلمين، وكلما صَحَّت أجسامكم كلما زادت وحشيتها وتكالبها على الفساد، وكلما توفر المال في أيديكم كلما كنتم أشد ضراوة في الفساد، وعداوة لأنفسكم، وأشد انتهاكا للحرمات وإيغالا في الشر والفساد؟.

ألا أيها الناس ثوبوا إلى رشدكم، وراجعوا دينكم، فاقرءوا كتاب ربكم وافهموه، واعرفوا رسولكم، واقرءوا بيانه لما أنزل إليه من ربه وافقهوه، لتعرفوا الإسلام الصحيح، فتعالجوا أمراضكم به، وحكموه في كل شأنكم، فتصحوا وتطيب لكم الحياة ويهنأ العيش، وتعودوا قادة الأمم إلى العدل والرحمة، كما كان سلفكم بهذا الإسلام الصحيح، من كتاب الله وهدي رسوله: خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويؤمنون بالله، ولو أن المسلمين ساروا في حياتهم على هدي الإسلام الصحيح - لا الإسلام الوراثي التقليدي المذهبي العصبي الزائف - لعرفوا كيف ينتفعون بنعم الله عليهم، فاتخذوا من موسم الحج أكرم وأفضل مؤتمر إسلامي، يجمع كلمتهم، ويوحد وجهتهم، ويجعل منهم قوة رشيدة غالبة تُرهب العدو، وتسبق في كل سبل الحياة العزيزة إلى أبعد غاية. وما كان لثرواتهم المعدنية وغيرها أن تتفلت من أيديهم إلى أيدي أعدائهم، يستخدمونها في الضغط عليهم وإضعافهم واستعمارهم.

وإن مما يبشر بيقظة المسلمين وتفتح عيونهم: هذه النهضات المتوثبة في مصر والمملكة السعودية وغيرهما من بلاد الشرق الإسلامي. حقق الله الأمل فيها، وأخذ بها إلى سبيل الرشد والحكمة للمسلمين.

لفضيلة الشيخ: محمد حامد الفقي، رحمه الله.

قد كان العرب الذين حملوا أمانة الرسالة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفهمونها حق الفهم ويقدرونها حق التقدير ؛ ويؤمنون بها أصدق الإيمان ، كانوا يؤمنون بها عن بينة ونور، فخالطت حلاوة الإيمان بشاشة قلوبهم، كانوا يُؤمنون بها على علم بسنن الله الكونية وآياته القرآنية ، فاصطبغوا بصبغة الله التي هي أحسن صبغة ، كانوا يؤمنون بها إيمانًا عرّفهم حق الربوبية وحق العبودية ، فأعطوا كل ذي حق حقه كاملاً غير منقوص .

كانوا يؤمنون بها إيمانًا عرفهم لماذا خلق الله الإنسان وسخر له ما في السماوات وما في الأرض، كانوا يعرفون نعمة الله عليهم فيشكرونها حق الشكر ، وعرفوا ما كانوا فيه من شقاء الجهل وظلماته وحضيض الوثنية وضلالها، عرفوا أنهم كانوا موتى ، بل الموتى خير منهم ، وأنهم كانوا كالأنعام بل الأنعام خير منهم، وأنهم بهذه الرسالة أحياهم الله أطيب حياة وأقواها وأنهم ارتفعوا بها من الحضيض إلى أعلى درجات الكمال الإنساني : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾، ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾ ، ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾، ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾، ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ .

تلفتوا من حولهم فرأوا إخوانهم في الإنسانية هلكى في مثل ما كانوا فيه هم قبل هذه الرسالة وإنعام الله عليهم بها ، فتحركت قلوبهم الرحيمة وتشوفت نفوسهم الشغوفة إلى الإحسان إلى هؤلاء الهلكى وإنجائهم مما هم فيه ؛ وتخليص إنسانيتهم المعذبة من جحيم الجهل والشرك والفساد، ومن عذاب الذل والاستعباد .

اندفعوا - وهم مؤمنون أنهم الخيرة الذين اختارهم الله لإنقاذ الإنسانية وفكها من أسر التقليد الأعمى ؛ وهم مؤمنون بأنهم الخلفاء في الأرض المبعوثون لإصلاحها وتعميرها بالإحسان إلى كل ما عليها ومن عليها من ضوء هذه الرسالة العادلة الرحيمة ، اندفعوا بهذه الروح القوية بإيمانها في مشارق الأرض ومغاربها ينشرون هداية الله ، فتلقاهم من أمم الأرض من أراد الله سعادته ونجاته بنفوس متعطشة طالما أحرقها الظمأ إلى العلم والرحمة ، وطالما اكتوت بشقاء ظلم الإنسان للإنسان وبغيه عليه بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان : تلقتهم هذه الأمم وفتحت لهم ولدينهم قلوبها وبلادها ، فبدل الله هذه الأمم من بعد خوفهم أمنًا ، ومن بعد شقائهم سعادة في ظل راية الإسلام التي رفعها أولئك المؤمنون وصدقوها في كل كلمة وفي كل حركة وفي كل خُلُق وصفة ، فكانوا المثل الأعلى والقدوة الحسنة والروح القوية التي حملت من أراد الله سعادته من الأمم أن يندمجوا في هذه الأمة الإسلامية العربية، وأن ينزلوا عن لغتهم ودينهم ، وكل مقوماتهم العجمية لهذه الرسالة ولغتها ونظمها وحكمها وأدبها ، عن رغبة صادقة وحب خالص لهذه الرسالة التي رفعت هذه الأمة العربية التي كانت بالأمس تمثل الضعف والفوضى ، فأصبحت تضرب للناس أعلى مثل للكمال الإنساني في كل

ناحية من نواحي الحياة ، وأصبحت هذه الدولة الآخذة من الصين إلى المحيط الأطلنطي دولة عربية إسلامية في لغتها ودينها: تتلو القرآن العربي في بيوتها ومحاريبها، رجالها ونساؤها ، حاكمها ومحكومها ، وتتفهمه وتتدبره لأنه لا سبيل لها إلى الإيمان وإقامة العدل إلا من هذا الكتاب الذي أنزله الله بلسان عربي مبين ، وحرصت على أحاديث رسول اللّه صلى الله عليه وسلم تجمعها وتتحرى في جمعها وروايتها أدق طرق الصدق والأمانة ، ثم تقرؤها وتتفهمها وتتبعها طاعة وعملاً ، حتى كاد نور الله يعم أمم الأرض ، لولا أن قام شياطين الجن والإنس ومجرموهم يضعون العقبات ويقيمون الحواجز ، وأخذوا يضربون بمعاول الصرف عن القرآن وهداه ، وتحويل الناس عن تدبره وفقهه ، وعن فهم حديث رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، والاكتفاء بما قال ورأى فلان ؛ وبمعاول التصوف وما جلب معه من عقائد وثنية، والكفر بسنن الله الكونية ، حتى انسلخ الناس عن آيات الله وعادوا سيرتهم الجاهلية الأولى، لا يتبعون في عقائدهم وعباداتهم إلا الظن وما تهوى الأنفس ، وتركوا ما جاءهم من ربهم الهدى ، ولما طال عليهم الأمد فقست قلوبهم، وأصبحوا أسوأ مثل يرى الناس فيه صورة هذه الرسالة في عقائدهم ومعاملاتهم لربهم ولبعضهم، فكانوا أسوأ دعاية بما ضرب الله عليهم بما كسبت أيديهم وقلوبهم من الذلة والمسكنة .

وعجيب أشد العجب أن يزعم أولئك المخدوعون الذين يشوهون سمعة الإسلام بما هم عليه من جهل وفساد دين وخلق أنهم يحاولون دعوة أهل الأرض دانيها وقاصيها من الصين واليابان إلى الإسلام، ويا سبحان الله لهذا الجهل والعمى.

أيها الناس : داووا أنفسكم ومن حولكم ممن يدَّعون الإسلام وهم أشد الناس حربًا عليه بما ابتدعتم لهم من وثنية وتقليد أعمى جرهم إلى الانغماس في كل موبقة ، داووا أنفسكم وداووهم برسالة محمد صلى الله عليه وسلم التي هي القرآن والحديث ، فإذا أنتم قد وجدتم العافية الإسلامية في أنفسكم وإخوانكم فاذهبوا إلى الأبعدين من المرضى . أما ما دمتم على حالتكم هذه في التقليد للآباء والشيوخ ، ثم لأوربا ومدنيتها المحرمة ، فما أنتم من رسالة محمد صلى الله عليه وسلم إلا مكان العدو الماكر .

أيها الناس : آمنوا بالله ورسوله ، وأطيعوا الله ورسوله ، فإن الله يقول : ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ ، ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴾، ﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٧) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (٤٨) وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٥٠) إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ . ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما رواه أهل السنن وغيرهم : «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله ، وسنتي».

أيها المسلمون : أناشدكم الله إلا ما تنبهتم من غفلتكم ، وفررتم إلى ربكم ، ورجعتم إلى الإسلام الذي جاءت به رسالة خاتم المرسلين، اقتدوا برسول الله صلى الله عليه وسلم واهتدوا بإمامته العظمى فهو والله الذي جعله الله إمامًا للعالمين ، وهو الذي سيأتم به الأنبياء فمن دونهم يوم القيامة .

لقد جربتم كثيرًا ما أنتم عليه من الخرافات والتقليد والآراء ، وذقتم مرارة هذه التجارب، فجربوا مرة واحدة رسالة إمام المهتدين وسيد المصلحين ، جربوها لتنقذوا العالم مما هو فيه من الشقاء والهلاك ، كما أنقذه آباؤكم .

هدانا الله وإياكم سواء السبيل، والحمد لله رب العالمين.

كنت في الرياض العامرة حرسها الله

بقلم فضيلة الشيخ / محمد حامد الفقي
مؤسس أنصار السنة المحمدية

لطالما اشتاق قلبي وحنت نفسي إلى زيارة «الرياض» وساكني «الرياض»، وذلك الشوق والحنين يرجع عهده إلى سنين متطاولة، من حين مَنّ الله عليّ وهدي قلبي إلى الإيمان الصادق بأنه سبحانه هو الرب الواحد، الذي يربيني ويربي جميع العالمين بنعمته، وأنه الإله الواحد، الذي ينبغي أن تألهه وحده قلوب جميع العباد، وأن تخلص له جميع أنواع العبادة، بل الذي ينبغي أن يكون كل حركاتهم واضطرابهم في جميع شئون الحياة إسلامًا له وعبادة وطاعة وتقوى، له وأن لا يعبد إلا بما أحب وشرع.

من ذلك اليوم بدأت بصيرتي تمتد وراء هذا النور تبحث عن مبعثه، فإذا بي أقف على مبعث النور ونبع الحياة، وإذا هو الصيحة المدوية التي صاحها شيخ الإسلام «محمد بن عبد الوهاب» رحمه الله وجلجلت بها سيوف آل سعود في قلب الجزيرة العربية، مستجيبة لصيحة شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ومجددة لصيحة خاتم الأنبياء وصفوة الخلق عبد الله ورسوله محمد ﷺ في شعاب مكة، ومن بين لابتي المدينة. تلك الصيحة التي نفخ الله عناصر روحها وقوتها في قلب كل نبي مرسل من قبل خاتمهم محمد ﷺ، ثم في قلب كل عبد حفظ الله عليه هداية الفطرة، فنفعه بها، فكان من الهداة المهتدين.

حين وقفت بصيرتي عند مبعث نورها؛ وإذا هي تجد هناك إخوة، بل هم أعز عليها من نفسها، فهم ذرية الشيخ محمد بن عبد الوهاب وخلفاؤه في حمل دعوته، وهم ذرية محمد بن سعود وخلفاؤه في نصر الحق، وإعلاء كلمة الله، وصيانة التوحيد وإخوان من أطاع الله.

من ذلك الوقت: اشتاق القلب إلى زيارة أولئك الإخوة في «الرياض»، ومن ذلك الوقت حنت النفس إلى استنشاق عبير الرياض، واجتماع أشباح الإخوة في ديار «الرياض» ومجالس «الرياض»، ولكن لكل أمر أجل، ولكل أجل كتاب.

شاء الله- سبحانه وبحمده- أن يفد إلى مصر شيخ الرياض وعالمها، وحبرها وأفضل فضلائها، سماحة الشيخ الجليل: محمد بن إبراهيم بن الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ حسن بن شيخ الإسلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

وقد كنت أعرف الشيخ من ألسنة المثنين والمعجبين أكثر مما أعرفه بنفسي ومجالستي، لكني لم أكد أجلس إليه مجلس أخوة، حتى أجد الشيخ فوق ما كنت أتصور أدبًا، وطهارة قلب، وسماحة نفس، وتبحرًا في العلم وحصافة رأي، ويقظة ذهن، وحضور خاطر، ورغبة ملحة في الاستزادة من العلم، وشغفًا شديدًا بمعرفة كل شيء، ليتخذ منه مادة نافعة لدينه ودنياه وآخرته.

فكنت أحرص على مجلس معه في الصباح

ومجلس في المساء، ولولا ما في عنقي من أعمال للزمته الليل والنهار، لما أجد في حديثه ومجلسه من أنس النفس وانشراح الصدر.

وتآلفت روحانًا، وارتبط قلبانا بأوثق رباط من أخوة الإيمان، وكان من جميل الصدف اتفاقنا في السن، بل وتشابهنا في نشأة الصبا.

وانقضت الأربعة الأشهر التي قضاها الشيخ بمصر، كأنها يوم أو بعض يوم، وإذا بالشيخ يفاجئني بأنه قد أزمع الرحيل والأوبة إلى الأهل والولد بالرياض، وذهبت للتشرف بزيارة صاحب السمو الملكي الأمير «فيصل» في نزل سميراميس، فاستأذنته في مرافقة الشيخ، فأذن مسرورًا، واصدر أمره الكريم إلى سعادة الشيخ عبد الله الفضل الوزير المفوض باتخاذ الإجراءات لذلك وتسهيل السفر.

وفي يوم الخميس ركبنا الطائرة التي خصصت للشيخ ورفقائه من ميناء فاروق الجوي، فبلغنا ميناء جدة، ووجدنا المطار زاخرًا بعلية القوم يستقبلون الشيخ، فابرق سماحة الشيخ إلى جلالة الملك المعظم يستأذن لي في التشرف بالسلام على جلالته في «الرياض»، فجاء الجواب سريعًا بالإذن، ومكثنا بجدة إلى صباح السبت، ثم ركبنا الطائرة صباح السبت من مطار جدة، فبلغت مطار الرياض، وإذا بالرياض كلها خرجت- وعلى رأسها: صاحب السمو الملكي الأمير سعود ولي العهد المعظم، يستقبلون الشيخ، ويرحبون بمقدمه، وإذا بي أرى ما لم يكن يخطر لي على بال، ما هذا الجمع الحاشد؟ ليس في المطار- على رحابته- موضع قدم، لماذا؟ أماله وغناه؟ إنه ليس من رجال المال ولا ذوي الثراء، أم لأنه من الوزراء أو الأمراء؟ إنه ليس وزيرًا ولا أميرًا، فهل الشيخ ملك؟ إن الملك: هو الإمام عبد العزيز، ذلك لأن الشيخ محمد بن إبراهيم: هو العالم، الذي تجتمع فيه صفات وأخلاق علماء السلف الصالح، وهو لذلك يحظى بهذه المكانة الرفيعة، في هذه الدولة السلفية التي تقدر العلماء، وتكرم الدين في أشخاص العلماء.

ركب الشيخ مع سمو ولي العهد وركبنا السيارات إلى قصر المربع العامر، حيث جلالة الملك المعظم عبد العزيز آل سعود ينتظر الشيخ، فما كاد جلالته يراه، حتى انتصب قائمًا في نشاط، وفتح ذراعيه، وأخذ يكرر «الله حيو، الله يحييك، يا هلا، يا هلا»، حتى ضم الشيخ إلى صدره وعانقه عناقًا طويلاً، ثم أجلسه عن يمينه، ثم تقدمت فتشرفت بالسلام على جلالة الملك وتفضل فحياني باسمًا، ثم أجلسني عن يساره، ولبثنا في حضرة جلالته فترة وجيزة، وجلالته يكرر تحية الشيخ والترحيب بمقدمه.

لقد كنت أتأمل وجه جلالته فأجده يشرق بالبهجة والفرح، فارتسمت في نفسي صورة قوية لهذا الملك العظيم الذي يُكْبِر الدين ويجله هذا الإكبار والإجلال، وآمنت أن الأمة- بحمد الله- بخير، ما بقي فيها ملوك تنطوي قلوبهم على هذا الإيمان.

استأذن الشيخ في الانصراف، فأذن له جلالة الملك وحين تشرفت بمصافحة جلالته للانصراف مع الشيخ، تفضل جلالته ونادى صاحب السمو الملكي الأمير سعود، ولي عهده المعظم - جعله الله قرة لعين والده - وقال له: - وقد أخذ بيدي - «أكرم أخاك».

ما أكبرها وأجلها من كلمة تجمع في النفس كل ما عرف من تراحم السلف الصالحين، وجود وكرم العروبة المحضة، وما أعظم حلاوتها في النفس وما أشد أسرها للقلوب التي تقدر الإحسان، وتعرف الجميل، إذ يقول جلالة الملك عبد العزيز، إمام الموحدين، وصفوة أمجاد العرب، ومثلهم الأعلى اليوم في كل المحامد والمكارم، لابنه الأكبر، وولي عهده المعظم «أكرم أخاك» وما أسعدني بهذه الأخوة أخوة الإيمان.

تفضل حضرة صاحب السمو ولي العهد المعظم فأخذ بيدي، وسرت معه حتى خرجنا من مجلس جلالة الملك المعظم، ثم دعا سموه بكبير الياوران سعيد بك جودت، وأمره أن يرافقني إلى دار الضيافة الممتازة، سرت مع سعيد بك جودت، وهو رجل يتمثل فيه من الشهامة ودماثة الأخلاق ما جعله يحظى بهذا المركز الممتاز عند جلالة الملك المعظم، حتى بلغنا إلى دار الضيافة الممتازة، فأعد لي غرفة فسيحة الأرجاء، مؤثثة بالسجاد الفاخر،

والدواليب والأسرة والفرش، والكراسي التي لا توجد إلا في أفخم القصور والفنادق الكبرى، وملحق بهذه الغرفة - ككل غرف القصر - حمام فاخر جدًا، به حوض من المرمر الفخم، مجهز بالماء البارد والساخن، وبكل ما يحتاجه المترف لقضاء حاجته، ثم جاء الخدم يسألونني عن حاجتي من الطعام والشراب، فطلبت بعض الشراب الحلو، فجاءوني به في سرعة عجبت لها، وجاءوني بإبريق من البللور مملوء باللبن الدسم، وبآخر مملوء بالماء المثلج، وكان إبريق اللبن هذا مع إبريق الماء في كل صباح ومساء، وعند كل طعام، وقد كان هذا اللبن أحب شيء إليَّ لمذاقه الجميل ودسامته التي لم أجدها من قبل. ثم جاء بعد فترة وجيزة سائق السيارة وقال: إن السيارة الخاصة بك تحت أمرك. فبدلت ثيابي وذهبت إلى دار الشيخ، وطلبت إلى السائق أن يتمهل في سيره حتى أرى معالم الرياض، وأسأله عن كل ما يقتضي السؤال عنه، وكان السائق مؤدبًا جدًا، متدينًا صالحًا سمح الأخلاق، مما أثار عجبي وحبَّبَهُ إلي، فكنت أعامله كأخ لا كسائق. سلكنا من المرَبَّع - وهو اسم لقصر جلالة الملك المعظم - طريقًا معبدًا بالأسفلت، ووجدتُّ يد العلم والعمران قد حولت الرياض إلى هذا البلد الهادئ، الجميل الطيب الهواء، ولا تزال تعمل بهمة لا تعرف الكلل لتزداد جمالا وطيبا ورخاءً.

فذهبت أطوف كل يوم - في صحبة الشيخ الجليل محمد بن إبراهيم - بالقرى المحيطة بالرياض، من قرب ومن بعد، فإذا بها تنال من العناية والعمران مثلما تنال الرياض، حتى كادت الصحراء أن تصبح كلها مروجًا خضراء، ورياضًا مؤنقة، والأهالي مقبلون على الزراعة في شغف ونشاط عجيبين، والفنانون الزراعيون الذين تستقدمهم الحكومة من أطراف البلاد جادون في معاونة الأهالي على تعميم الزراعة في جميع بلاد نجد، والمأمول: أن يتحقق ذلك إن شاء الله، وتستطيع البلاد النجدية أن تموّن نفسها بالحبوب والثمار، وتستغني عن الاستيراد من الخارج بمعونة الله وتوفيقه.

لقد لمست في الرياض نهضة علمية نشيطة أخذت خطوات التقدم تمشي بها سريعة موفقة. وجدت صاحب السماحة الشيخ محمد بن إبراهيم يجلس لإلقاء الدروس الدينية في الفقه والحديث والتفسير من بعد صلاة الفجر إلى الضحوة الكبرى، وقد التف حوله طلبة وفدوا من أطراف البلاد، من اليمن إلى القصيم إلى البصرة. رحلوا إلى الرياض يطلبون العلم، وينهلون من مورده على عالم نجد الأوحد وفقيهها الجليل: الشيخ محمد بن إبراهيم. وقد خصصت لهم الحكومة مساكن ورتبت لهم من الطعام والنقود ما يكفل لهم العيش ليتوفروا على طلب العلم، وفي ناحية أخرى يقوم فضيلة الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم، أخو الشيخ محمد، بإلقاء الدروس في العلوم الآلية من النحو والصرف وغيرهما. وفي التوحيد والفقه لطلبة أصغر من طلبة الشيخ محمد بن إبراهيم وبجانب ذلك آخرون من طلبة العلم من آل الشيخ يعلمون، ولكن في دائرة أضيق من دائرة الشيخين محمد وعبد اللطيف.

يتوّج هذا كله ما قام به حضرة صاحب السمو الملكي الأمير سعود ولي العهد المعظم، فلقد أنشأ في الرياض معهدًا علميًا ضخم البناء، فسيح الأرجاء، وجعل شيخًا له سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم ومديرًا له فضيلة الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم ومعاونًا للمدير: الشاب الأديب النشيط الشيخ حمد الجاسر.

هذه صورة مصغرة لهذه النهضة العلمية والعمرانية، التي يقوم بها جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، ويعاونه عليها شبله الكريم سمو ولي عهده المعظم، الأمير الجليل سعود، وهو بلا شك دليل على مجهود عظيم يبذل لترقية الجزيرة العربية، ودفعها إلى سبيل الحياة الطيبة، والله وحده هو المسئول أن يديم توفيقهم وتسديدهم، ويجزيهم على ذلك ما هو له أهل من التأييد والنصر، وحسن المثوبة في الدنيا والآخرة.

والحمد لله رب العالمين.

* هذا ما كتبه الشيخ حامد الفقي - رحمه الله - مع تصرف يسير من هيئة التحرير.

رمضان

الصيام

كتبه العلامة
محمد حامد الفقي
رحمه الله
من علماء الأزهر الشريف
ومؤسس جماعة أنصار السنة المحمدية الأول
نشرت في مجلة الهدي النبوي
العدد السادس، في شوال ١٣٥٦هـ

قال الله تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ » [البقرة: ١٨٣- ١٨٥].

وما أوحى الله تعالى بالشرائع إلى من يصطفيهم من أنبيائه في مختلف العصور، وما أنزل من أحكام وعبادات في تلك الشرائع الإلهية، إلا لإصلاح الإنسان وتزكية نفسه وتطهيرها، مما يحاول الشيطان أن يكدرها به من وساوس ومفاتن؛ وما يزينه لها من فسوق وعصيان، كلما ازدادت منه واستحبته كلما ارتكست في مهاوي السِّفال الحيواني، وتلطخت في حمأة الشيطانية النجسة الرجسة.

وكلما تطهرت منها، وتأصلت فيها كراهيتها، وامتزج بذراتها محبة الله ومحبة طاعته، وقامت له سبحانه على قدم العبودية وأخلصت له ذل الخضوع، وصدقت في رهبة الخشوع، كلما ارتفعت في معارج الكمال؛ وارتقت إلى درجات الحياة الهنيئة والعيش الرغد في الحياة الدنيا؛ ولتحظى يوم القيامة بمقام الأبرار.

كمال العبد بكمال العبودية

وما كمال الإنسان إلا بغلبة روحانيته العاقلة على حيوانيته الجاهلة، وقهر معنوياته الحكيمة لماديته السفيهة الطائشة؛ وسيطرة قلبه الصالح، ونفسه المطمئنة على شهواته الجامحة ونفسه الأمارة.

تلك هي الكمالات الإنسانية؛ وما تكون هذه الكمالات ولا شيء منها إلا من غراس النبوة، وما نماؤها وامتداد ظلها، وكثرة ثمارها إلا بسقيها من ماء العلم الإلهي الذي ينزل من السماء صافيًا على أرض القلوب فتهتز وتربو، وتخرج من كل الثمرات الطيبات المباركات، ما به سعادة الإنسانية، وفلاحها في دنياها وآخرتها: في الفرد والأسرة والجماعة والأمة،

وفي القرون والأجيال يبقى نورها مشعًا للناس يقتبسون منه، ويستمر شذاها عبقًا يفوح عبيره لكل مستمتع، وصوتها غردًا في أذن كل محب صدق في حبه، إذ عرف أن مكانة القلب الرفيعة لا يليق أن يتبوأها إلا محبة الله ومحبة ما يحبه الله من قول وعمل وهدي وسمت، وخلق وصفة، وظاهر وباطن: «أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» [البقرة: ٥].

جعل الله الرحمن الرحيم من العبادات حبالاً يصل بها قلب عباده المهتدين إلى حضرة قدسه، ويجذبهم بها إلى رياض قربه.

العبادة حبل يصل العبد بربه

جعل الله الرحمن الرحيم من تلك العبادات حبالاً يصل بها قلب عباده المهتدين إلى حضرة قدسه، ويجذبهم بها إلى رياض قربه؛ ليتمتعوا بما مد لهم من موائد فضله العظيم ولينعموا على بساط رحمته بما وهب لهم من أعطياته الواسعة التي لا تساوي الدنيا وأمثالها معها بجانبها عندهم قلامة ظفر ولا دونها: «فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» [السجدة: ١٧]، «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر».

وإن قومًا فهموا في تلك العبادات التي هي منح إلهية، وصلات رحمانية، ونفحات قدسية: أنها تكاليف وأعمال قهرية ومشقات تأديبية لمحرومون كل الحرمان من ذوق شرابها العذب، وورود منهلها النمير، وبعيدون كل البعد عن اكتناه رُوحها السامية، وعلى بصائرهم غشاوة أن تشهد إشراق هذه النفحات على الأرواح فتسموا بها إلى عليين.

العبادات تشريف ومنحة وليست تكليف وكلفة لمن يعقل

ليست العبادات تكليفًا، بل هي تشريف، ليست العبادات مشقات، بل هي نعيم ومسرات، ولكن أكثر الناس لا يعقلون.

لماذا كانت منحة الصلاة للحبيب صلى الله عليه وسلم ليلة عُرج به إلى فوق السماوات، حتى كان قاب قوسين أو أدنى؟ ذلك لأنه أسعده في هذه الليلة بلذة القرب، ووصله في ساعة القرب بحديث الحبيب إلى حبيبه، فذاق قلب الرسول صلى الله عليه وسلم من ذلك اللذة الروحية العليا، وأشرقت نفسه الكريمة في ذلك الوقت بنور صفوة الصفوة، وخيرة الخيرة، وسمو «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ» [الإسراء: ١].

فكان من الصعب على الحبيب صلى الله عليه وسلم البعد بعد نعيم القرب، وكان الله به أرحم من أن يمنعه تلك النعمة بعد أن عرفها وتمتع بروحها، فمنحه الصلاة؛ لتكون الصلة بين الحبيب وحبيبه كلما اشتاق إلى لذة القرب، ومن ثم قال: «وجُعلتْ قرة عيني في الصلاة». وكان يقول: «يا بلال، أرحنا بالصلاة». ويقول عن الله عز وجل: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: «الحمد لله رب العالمين». قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال العبد: «الرحمن الرحيم». قال الله تعالى: أثنى عليَّ عبدي، وإذا قال العبد: «مالك يوم الدين». قال: مجدني عبدي. فإذا قال: «إياك نعبد وإياك نستعين». قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل. فإذا قال: «اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين». قال: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل».

العبد يقبل على ربه، والله يتكرم بالإقبال على عبده، العبد يستفتح باب ربه، والله يتفضل بفتح باب الوصول لعبده، العبد يكلم ربه بأصدق الحديث وأحب الذكر إلى ربه، والله يسمع لعبده ويجيب عبده كلمة بكلمة، ودعوة بإجابة.

وافهم قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إن العبد إذا قام يصلي فإنه إنما يناجي ربه، فلينظر أحدكم من يناجي». و المناجاة: هي الكلام الذي لا يدركه إلا المتحدثان مع بعضهما.

الصوم جُنة؛ لأنه يدخل في حضرة القرب والمراقبة للّه والمعية الخاصة من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.

اللّه أكبر. هذا كله يسمى تكليفًا، ويقال عليه: إنه مشاق تأديبية؟! سبحان اللّه، ولا حول ولا قوة إلا باللّه.

وهذا وربك شأن العبادات كلها من صيام وغيره.

من أجمل ألقاب العباد

فاسمع إلى مبدأ خطاب اللّه في الصيام، ودعوته أحبابه إلى هذا الباب من الجود والرحمة، يناديهم بأحب الألقاب وأطيب الأسماء، وأعذبها على قلوبهم: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا»، وهو مع عذوبته وجماله خطاب تكرمة وتشريف، كشأنه في خطاب حبيبه صلى الله عليه وسلم: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ» «يَا أَيُّهَا الرَّسُول»، ثم يقول: «لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ»، واجمع إلى هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم: «الصوم جُنة». فالجُنة: هي الوقاية التي يقي المؤمن بها إيمانه من كل ما يخافه عليه، فإنه ليس عند المؤمن أعز ولا أغلى من إيمانه، فهو يخاف عليه أشد من خوفه على بصره وسمعه وعافيته في كل جسمه، فبماذا يقي إيمانه مما يكره؟ وبم يجن إيمانه ويحفظه مما يخاف؟ لا يجد لإيمانه وقاية وصيانة إلا من طريق العلم النافع، وليس له علم نافع إلا من القرآن الذي هو الروح، وهو النور؛ وهو الهدى، وهو الفرقان، وهو الذكر الحكيم؛ فيلبس من درع القرآن، وهداية القرآن وأدب القرآن ومواعظ القرآن، وشرائع القرآن ما يجن إيمانه ويقيه كل ما يكدره، أو ينقصه أو يذهب به من بذاء اللسان وسفه الأحلام، والجهل والفسوق والعصيان، وما إلى ذلك من كل ما يوسوس به أو يزينه شياطين الإنس والجن، في السر والعلن، والظاهر والباطن، والقلوب والأعمال.

الصيام حجاب متين

الصوم جنة؛ لأنه يدخل في حضرة القرب والمراقبة للّه والمعية الخاصة من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، ساعات من النهار طويلة يجاهد فيها كل عوامل الشر، من نفس وقرين وشيطان، وفتن محيطة. وكلما دعاه من تلك داع، صاح به: إني مع ربي، إني مع سيدي، إني مع مليكي، إني في رياض القرب، إني على موائد الفضل، فاذهب عني، لا تحرمني من ربي ولا تقطعني عن ربي، ولا تحل بيني وبين ربي أرحم الراحمين، الذي يغذي روحي وقلبي من غذاء رحمته، ويفيض على نفسي من سحائب فضله وبره، وهذا هو سر قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقين».

فإذا ما حظيتَ أيها الصائم بلذة هذا القرب الإلهي، وإذا ما سعدت بنفحة من نفحات «عند ربي» زكتْ نفسُك، واتسع مدى نور قلبك، وغلبت عليك الحكمة في قولك، وعملك، وبرئت من مرض السفه والطيش، والجهل وسوء الأخلاق.

فإذا ما غربت الشمس تبلغت ببعض ما يقيم صلبك إبقاءً على وعاء تلك الروح، وحفظًا لسياج القلب، ولم ترتع في الأطعمة والأشربة كالحيوان حتى ينتفخ، ولا يجد للنفَس محلاً.

فإذا ما جاء الليل ونامت أعين الغافلين، قمت تناجي ربك، وتتحدث إليه بكلامه المجيد، ووجدت من صيامك النهار أكبر عون لقلبك الصافي ونفسك الزكية، على لذة هذه المناجاة وتلاوة آي الذكر الحكيم، ولقيت من ذلك لذة دونها واللّه كل ملاذ الحياة الدنيا، وشهدت عندئذ سر جعل اللّه الصيام في شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، ورأيت من أبواب الفقه والفهم في آيات القرآن، وقطفت من ثماره الدانية بصفاء نفسك وطهارة قلبك، وإشعاع روحك، ما ترى منه العجب العجاب، وهذا - واللّه أعلم - سر من أسرار: «كان جبريل يدارسني القرآن في رمضان».

وإن ثمرات القرآن وخيراته الحسان - واللّه - لا ينالها إلا من غلب صفاء قلوبهم وطهارة نفوسهم على ظلمات حيوانيتهم، وشهوات بطونهم وفروجهم، والحيوان الشهواني المظلم، ما له وللقرآن وهداه ونوره وفرقانه ورحماته؟ أولئك

عنها مبعدون، قلوبهم في أكنة مما يدعون إليه، وفي آذانهم وقر، وهو عليهم عمى. نعوذ بالله من ذلك ونسأله العافية.

وهل لك أيها الصائم أن تلحظ سر من أسرار آي الصيام: « وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ» [البقرة: ١٨٦] تأملها جيدًا، ثم ارجع إلى قراءة الآيات من أولها، وقف عند هذه الآية وتمعن فيها كثيرًا، فإنه سينفتح لك منها سر الصيام، وتشهد منها حكمة الصيام، وأنه القرب الحقيقي من الله الذي يقول لك: لا تستصعب الأمر فهو عليك هين ويسر، إذا رشدت وهديت، ولا تعبأ بما يلقى في طريقك من عقبات، فاقتحمها وأسرع إلى ربك - تلق ربك منك قريب.

أقدم على ربك على متن: «لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ»، وعلى نور: «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ» واطرح تحت قدمك تلك الخزعبلات والسفاسف الحيوانية التي طالما حشي بها المحجوبون رأسك، وسودوا بها صفحهم، من أن حكمة الصيام أن تتعذب النفس بألم الجوع والظمأ لتحس بحاجة الفقير والمسكين.

من حكمة الصيام : القرب الحقيقي من الله الذي يقول لك: لا تستصعب الأمر فهو عليك هين ويسر، إذا رشدت وهديت، ولا تعبأ بما يلقى في طريقك من عقبات.

أفهام شاردة وعقول تائهة

أُف لهذا القول، فوالله ما تحس نفس تعرف هذا للصيام إلا إحساس الحيوان الذي يربط في الوتد ويمنع عن الكلأ والمرعى، فما يكاد يفلت من رباطه حتى يرتع ويرتع ويرتع، إلى أن تمتلئ بطنه فيستلقي في غيبوبة من الوخم والبطنة، فلا يعي ولا يعقل، ولا يحس بنفسه ولا بفقير ولا مسكين، وما يزداد بالصيام إلا حيوانية شرسة، وظلمة فوق ظلمة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

مساكين - والله - هؤلاء مساكين، ما فقهوا من الدين ولا من الطاعة شيئًا، حتى زعموا أن الصلاة وقيام رمضان ما هو إلا حركات رياضية لهضم ما ملئوا به بطونهم من الطعام والشراب، فكان ذلك عندهم نقرًا وإسراعًا وعبثًا بالصلاة، ولعبًا بدين الله، وإنا لله وإنا إليه راجعون. اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون.

وحين استولت على نفوسهم هذه السخافات والجهالات فأكسبتها ظلمات فوق ظلمات، قالوا في الدين بغير علم ولا هدى؛ إذ زعموا أن الصيام مع ترك الصلاة ينفع، وصور لهم عبثهم وجلهم: أن هذا فرض وهذا فرض، وهذا تكليف وهذا تكليف. وهذا حظهم من الدين إذ أخذوه من غير أصله، واستقوه من حثالة الآراء، وغسالة الأفكار.

الدين قال الله قال رسوله قال الصحابة ليس خلف فيه

أما إنهم لو استقوا الدين من منبعه الصافي: القرآن والسنة الصحيحة الطيبة المباركة، لوجدوا أن كل تلك العبادات عقد واحد انتظمت قلب العبد لتوصله إلى ربه، وكلها مرتبطة بالآخر أوثق ارتباط، ومتصل به أتم اتصال، ومرجعها إلى الصلاة التي يقول فيها الرسول صلى الله عليه وسلم: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة»، وعلى قدر حظ العبد من الصلاة على قدر حظه من الإسلام، فمن لا حظ له في الصلاة فلا حظ له في الإسلام، وإنها هي أوثق الصلات، وأقوى عراها بالله سبحانه، فإذا ما انفرط العقد من عندها، فمحال أن ينتظم من أي ناحية سواها أي محال، مهما حاول وموه الذين لا يفهمون إلا ظواهر القول وقشور الكلام.

فيا أيها الذين آمنوا وثقوا رباط قلوبكم بالله حق التوثيق، و«حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ» [البقرة: ٢٣٨].

وافتحوا أبواب القرب من الله على مصاريعها في شهركم هذا بالصوم، وأجنوا فيه قلوبكم وإيمانكم بتلاوة القرآن، والتخلق بخلق القرآن، والتأدب بأدب الرسول صلى الله عليه وسلم، وما كان أدبه إلا القرآن، ولا تضيعوا على أنفسكم هذه الفرص السعيدة، فالمحروم في الدنيا والآخرة من ضيعها. ونسأل الله لنا ولكم الهداية والتوفيق.

من روائع الماضي

موقف الإسلام من يوم عاشوراء وليلته

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، محمد وعلى آله وصحبه، ومن تبعه. وبعد: فإن أغلب المسلمين أصبحوا في هذا الزمان لا يعتمدون في أعمالهم على كتاب، أو سنة، أو قول صاحب، وإنما يعتمدون على ما ورثوه فقط عن آبائهم وأجدادهم، فما كان كذلك فهو صحيح، وإن جاءت النصوص بالنهي عنه والتحذير منه، وما كان على خلاف ذلك لم يعبؤوا به ولم يلتفتوا إليه، وإن كان هذا هو العمل الذي كان عليه أشرف المرسلين- صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين.

إعداد/ الشيخ محمد حامد الفقي - رحمه الله -

وقد نشأ ذلك من جهل الناس بدين الله، وإعراضهم عما كان عليه السلف الصالح من خيار هذه الأمة وساداتها، وانكبابهم على أشياء ليست من العلم ولا من الدين في قبيل ولا دبير.

ومن الجهل الشنيع أن يعتمدوا على ما بأيدي العامة من دواوين خطب محشوة بالبدع والأحاديث الموضوعة، قد أغنانا الله- تعالى- بكتب الحديث المعتبرة؛ كالبخاري ومسلم، وما إليهما من الكتب التي هي ثمرة مجهودات عظيمة، صرف فيها الأئمة من أهل العلم وخير هذه الأمة نفيس أوقاتهم وزهرة حياتهم دفاعًا عن سنة خير الخلق، وشفقة بالناس أن يضلوا إذا هم خلطوا الخبيث بالطيب من الأحاديث، فيا لله ما أشد مصيبة المسلمين بتركهم لهذه الكتب القيمة أو اعتمادهم على أمثال ديوان الشرنوبي والسقا وما إليهما!

وإن أعظم ما يفرح به الشيطان هو الجهل بدين الله وعدم معرفة سنن الهدى، فإن ذلك هو السبيل الأعظم الذي تدخل منه البدع الشيطانية والخرافات الشركية في قلوب أولئك الذين يزعمون أنفسهم مسلمين، وما هم بمسلمين، بل هم دمامل وفساد في جسم الإسلام الذي يضج ويشكو إلى الله مما يذوق ويعاني من شرورهم وإذاياتهم له ولأهله، وإن هذه المسألة تكاد تكون من أوليات الدين وبدهياته لو علم الناس، ولشيخ الإسلام وحجة الأنام ابن تيمية جواب نفيس على هذه المسألة، لما فيه من الفوائد العظيمة والتحقيق البديع؛ قال- رحمه الله-:

لم يرد في شيء من ذلك حديث صحيح عن النبي- صلى الله عليه وسلم- ولا عن أصحابه، ولا استحب ذلك أحد من أئمة المسلمين، لا الأئمة الأربعة ولا غيرهم، ولا روى أهل الكتب المعتمدة في ذلك شيئًا عن النبي- صلى الله عليه وسلم- ولا الصحابة ولا التابعين، لا صحيحًا ولا ضعيفًا، لا في كتب الصحيح ولا السنن ولا المسانيد، ولا يعرف شيء من هذه الأحاديث على عهد القرون الفاضلة، ولكن روى بعض المتأخرين في ذلك أحاديث، مثل ما رووا أن من اكتحل يوم عاشوراء لم يرمد في ذلك العام، ومن اغتسل يوم عاشوراء لم يمرض في ذلك العام، وأمثال ذلك.

ورووا فضائل صلاة يوم عاشوراء، ورووا أن في يوم عاشوراء توبة آدم، واستواء سفينة نوح

على الجودي، ورد يوسف على يعقوب، وإنجاء إبراهيم من النار، وفداء الذبيح بالكبش، ونحو ذلك.

ورووا ذلك في حديث موضوع على النبي- صلى الله عليه وسلم- ورووا أنه من وسع على أهله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر السنة، ورواية هذا عن النبي- صلى الله عليه وسلم- كذب، ولكنه معروف من رواية سفيان بن عيينة عن إبراهيم بن محمد المنتشر عن أبيه قال: بلغنا أن من وسع على أهله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر السنة، وإبراهيم بن المنتشر من أهل الكوفة، وأهل الكوفة كان فيهم طائفتان: طائفة رافضة يظهرون موالاة أهل البيت، وهم في الباطن إما ملاحدة زنادقة، وإما جهال وأصحاب هوى، وطائفة ناصبة تبغض عليًا وأصحابه؛ لما جرى من القتال في الفتنة ما جرى، وقد ثبت في صحيح مسلم عن النبي- صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «سيكون في ثقيف كذاب ومُبير»، فكان الكذاب هو المختار بن أبي عبيد الثقفي، وكان يظهر موالاة أهل البيت والانتصار لهم، وقتل عبيدالله بن زياد الذي جهز السرية التي قتلت الحسين بن علي رضي الله عنهما، ثم إنه أظهر الكذب وادعى النبوة، وأما المبير فهو ابن يوسف الثقفي، وكان منحرفًا عن علي وأصحابه، فكان هذا من النواصب، والأول من الروافض، وهذا الرافضي كان أعظم كذبًا وافتراءً وإلحادًا في الدين، فإنه ادعى النبوة، وذاك كان أعظم عقوبة لمن خرج على سلطانه، وانتقامًا لمن اتهم بمعصية أميره عبدالملك بن مروان، وكان في الكوفة بين هؤلاء وهؤلاء فتن وقتال، فلما قتل الحسين بن علي يوم عاشوراء وقتلته الفئة الباغية الظالمة، وأكرم الله الحسين بالشهادة، كما أكرم من أكرم من أهل بيته، فأكرمه الله بهذه الشهادة التي لحق بها بأهل بيته الطيبين الطاهرين، وأهان بها من ظلمه واعتدى عليه، وأوجب ذلك شرًا بين الناس، فصارت طائفة جاهلة ظالمة إما ملحدة منافقة، وإما ضالة غاوية، تظهر موالاته وموالاة أهل بيته، تتخذ يوم عاشوراء يوم مأتم وحزن ونياحة، وتظهر فيه شعار الجاهلية؛ من لطم الخدود، وشق الجيوب، والتعزي بعزاء الجاهلية. والذي أمر الله ورسوله به في المصيبة إذا كانت جديدة إنما هو الصبر والاحتساب والاسترجاع، وإذا كان الله- تعالى- قد أمر بالصبر والاحتساب عند حدثان العهد بالمصيبة، فكيف مع طول الزمان؟

فكان ما زينه الشيطان لأهل الضلال والغي من اتخاذ يوم عاشوراء مأتمًا، وما يصنعون فيه من الندب والنياحة، وإنشاد قصائد الحزن، ورواية الأخبار التي فيها كذب كثير، والصدق منها ليس فيه إلا تجديد الحزن والغضب، وإثارة الشحناء والحرب، وإلقاء الفتن بين أهل الإسلام، والتوسل بذلك إلى سب السابقين الأولين، وكثرة الكذب والفتن في الدين، ولم يعرف في طوائف الإسلام أكثر كذبًا وفتنًا ومعاونة لأهل الكفر على أهل الإسلام من هذه الطائفة الضالة الغاوية، فإنهم شر من الخوارج المارقين الذين قال فيهم النبي- صلى الله عليه وسلم-: «يقتلون أهل الإسلام ويدَعون أهل الأوثان»، وهؤلاء اليهود والنصارى على أهل بيت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وأمته، كما أعانوا المشركين من الترك والتتار على ما فعلوه ببغداد وغيرها، من القتل والسبي وخراب الديار، وشر هؤلاء وضررهم على أهل الإسلام لا يحصى؛ فعارض هؤلاء قوم، إما من النواصب المتعصبين على الحسين وأهل بيته، وإما من الجهال الذين قابلوا الفاسد بالفاسد، والكذب بالكذب، والشر بالشر، والبدعة بالبدعة، فوضعوا الآثار في شعائر الفرح والسرور يوم عاشوراء؛ كالاكتحال والاختضاب، وتوسيع النفقات على العيال، وطبخ الأطعمة الخارجة عن العادة، ونحو ذلك مما يفعل في الأعياد والمواسم، فصار هؤلاء يتخذون يوم عاشوراء موسمًا كمواسم الأعياد والأفراح، وأولئك يتخذونه مأتمًا يقيمون فيه الأحزان والأتراح، وكلا الطائفتين مخطئة خارجة عن السنة؛ الرافضة الخبثاء وإن كان أولئك أسوأ قصدًا، وأعظم جهلاً، وأظهر ظلمًا، لكن الله يأمر بالعدل والإحسان، وقد قال النبي- صلى الله عليه وسلم-: «إنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، تمسكوا بها وعَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة».

مجلة الإصلاح، العدد السادس عشر، محرم ١٣٤٨هـ، ص٣٥

من روائع الماضي

حاجة الأمة إلى الإصلاح

إعداد/ الشيخ محمد حامد الفقي
رحمه الله

"قال الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه: والله لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها".

الذي لا شك فيه، وهو من الوضوح بدرجة أن الجميع مجمعون عليه: هو حاجة الأمة إلى الإصلاح، وأن الجميع مجمعون بالشكاية من أمراض كثيرة جداً تفتك في كيان الأمة الإسلامية، وتهد من قواها شيئاً فشيئاً، حتى لتكاد توردها موارد الموت والفناء. هذه قضية مسلمة من الجميع، تسمعها على لسان كل فرقة وطائفة وجماعة. ولو صدق الجميع في هذه الشكاية، وحولها مجراها من المجالس والنوادي والمحافل إلى قرارة أنفسهم، وأداروها في قلوبهم وجوانحهم قبل أن يملؤوا الجو بها صياحاً وعويلاً، لو فعلوا ذلك مخلصين صادقين، لوجدوا أن علة المرض وجرثومة الداء في قرارة أنفسهم. فإن الأمة ليست إلا مجموعة هذه الأعضاء من الفرق والطوائف والجماعات؛ وأن الأمراض ليست إلا جراثيم منبثة في قلب كل واحد ونفسه، وأنه لو ذهب يعالج كل واحد منا نفسه ويقتلع منها جرثومة المرض لأصبحت الأمة في أتم صحة وعافية. ولكن أين الإخلاص والصدق في الشكاية والإحساس الصحيح بحاجة الأمة إلى العافية والإصلاح؟؟

يقول أبو الدرداء رضي الله عنه "لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله، ثم يرجع لنفسه فيكون لها أشد مقتاً" يعني أن تكون مرضاة الله قبل كل شيء وفوق كل شيء. فإذا مقت الناس وكرهتهم في الله، لأنهم على ما يكره الله فابحث عن ذلك في نفسك أولاً وفتش عليه، فإن وجدته فامقته وتخلص منه، لأنك لا تقدر أن تتخلص من نفسك مثل ما تقدر أن تتخلص من الناس بهجرهم واعتزالهم ولعلك حين تفتش في نفسك تجد أن ما تمقته من بعض الناس هو التقوى والإيمان بالنسبة إلى ما في نفسك من مساخط الله، لو كنت جاداً مخلصاً. وطوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس.

الأمة مريضة بأمراض أفسدت عليها مزاجها الإسلامي، وأفسدت عليها حياتها الإسلامية. هذا لا شك فيه. والأمة محتاجة إلى علاج يرجعها إلى الصلاح الإسلامي، ويعود بها إلى العافية الإسلامية. هذا كذلك لا شك فيه.

وفي الأمة جمعيات إسلامية، وطوائف إسلامية، وأحزاب وشيع إسلامية؛ تأسست وقامت على دعوى الإصلاح، وبنت حياتها على الرغبة - أو على دعوى الرغبة - في علاج أكثر ما تستطيع من الأمة.

وفي الأمة علماء ووعاظ وخطباء ومدرسون وقادة ومفكرون من كل الطبقات يتحدثون بالشكوى والحاجة إلى الإصلاح، ويدّعون أنهم يعملون لهذا الإصلاح، ويسعون إلى إصلاح أكثر ما يستطيعون من أفراد الأمة.

وفي الأمة صحف ومجلات، وفيها كتاب يطالعون الناس كل يوم بمجموعة صالحة من المقالات والرسائل والكتب؛ كلها تنعى على الفساد المستولي على الأمة وتنادي بالعمل السريع الجاد لتلافي هذا الفساد، والمبادرة إلى علاج الأمة من هذه الأمراض الفتاكة.

في الأمة كل هذه العوامل الكثيرة الضخمة التي حين يستعرضها الإنسان ويفكر فيها يعتقد أقوى الاعتقاد أن هذه القوى والعوامل لا تستطيع مرضٍ أن يثبت أمامها، ولا يقوى على التغلب عليها، فضلاً عن انتشاره واستشرائه واستفحاله كل يوم عن الذي قبله. وها نحن نرى الأمراض والطواعن تنهزم وتولي الأدبار أمام جيوش الطب وعوامل الصحة حين تتوجه بكل قوتها إلى حربها. ولكن الإنسان يأخذه أشد العجب والدهش إذ يرى أن هذه القوى والجماعات الإسلامية والوعاظ والكتاب والمجلات والجرائد لا تغني من هذه الأمراض الاجتماعية فتيلاً. حتى تتحدث كل فرقة وجماعة مجلة وجريدة بذلك. وتكرر كل يوم الشكاية المرة منه!!

أليس من واجب الطبيب أن يتعهد مريضه كل يوم ويلاحظ تأثير العلاج فيه، فإذا وجده غير ناجع استبدله بغيره، فإذا جرب كل العلاجات المعروفة في مثل هذا المرض ووجدها لم تأتي بفائدة. انتقل إلى فحص البيئة والجو الذي يعيش فيه المريض، ثم إلى غير ذلك من أنواع المؤثرات ومختلف الأسباب حتى يستطيع أخيراً أن يقف على السبب الحقيقي. فإن لم يصل بنفسه استعان بمن هو أعلم منه، أو بجماعة من إخوانه أو ما إلى ذلك مما نرى الأطباء الجسمانية يتخذونه ويسلكونه سبيلاً في العلاج؟!

فالواجب إذن على أولئك السادة الذين يقولون أنهم مصلحون أن يجربوا أنواعاً أخرى من العلاج غير التي حاولوا بها أولا إصلاح الأمة فلم يفلحوا، ووجدوا نتيجة ما يشكون منه ويتألمون. والواجب كل الواجب أن يتعاونوا ويتضافروا تضافر طبيب العيون مع طبيب الأذن، مع طبيب الأنف، مع طبيب المعدة مع طبيب القلب، مع طبيب الرئة، مع طبيب المجاري البولية. وهكذا يتضافر هؤلاء كل في اختصاصه ودائرة معرفته يبذل مجهوده؛ ويفسح له الطبيب الآخر المجال لذلك حرصاً على عافية المريض، وحباً لشفائه، ويقيناً منهم أن المعارضة والمخاصمة ووضع العقبات في سبيل بعضهم يؤدي ولا بد إلى موت المريض وهلاكه. لأن كل مرض من هذه الأمراض مهلك قتال إذا لم يتدارك العلاج بالعلاج من العارف به والمتخصص له.

أليس من الواجب كذلك على أطباء الأمراض الاجتماعية وعلى هذه الجماعات أن تتضافر وتتعاون تضافر أولئك الأطباء وتعاونهم حتى تبلغ بمريضها إلى ما تدعيه من حب العافية والصلاح؟ لو كان مخلصة لمهمتها إخلاص طبيب الأذن والأنف والمعدة لفعلت ذلك. ولو آمنت بأجرها من ولي ذلك المريض إيمان مريض الأنف والأذن والمعدة بأجره من ولي مريضه لفعلت ذلك. ولو علمت مرض مريضها وشخصته بمعرفة مقياس الصحة والعافية. وأوتيت من الحكمة ما تقدر أن تزن به الصحة والمرض، والعافية والسقم. لوصلت إلى غايتها ولبلغت إلى غرضها. ولاستطاعت كما استطاع الطبيب الأول - محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه وتابعوهم - أن يصلوا بهذا المريض إلى السلامة كل السلامة وإلى العافية كل العافية.

أيها السادة المحاولون الإصلاح. تعالوا نشخص المريض التشخيص الذي يجعله بارزاً لا يخفى على أحد. ونقيم للناس المثل الأعلى للصحة والعافية الإسلامية. ثم تعالوا نضع أيدينا في بعضها متعاهدين بإخلاص وصدق أن يقوم كل واحد منا بعلاج ما يعرف وتيقن مما تخصص فيه من أمراض الأمة. ومتعاهدين أشد وأوثق تعاهد أن يفسح كل واحد منا المجال للطبيب الآخر مقدراً له مجهوده وموصياً المريض بالانتفاع بعلاجه.

وتعالوا أخيراً نتعاهد على اليقين والإيمان بالأجر الذي سنأخذ وافياً من الله ولى هذه الأمة إذا نحن قمنا بما أوجبه علينا لها من عمل نافع مخلصين عملنا لله ولله وحده. وهو مولانا ونعم النصير. إننا إن فعلنا ذلك وبعنا أنفسنا لله وتجردنا من كل شهوة وهوى نفس وحظ دنيوي من رياسة أو مال. لا بد واصلون إلى الغاية؛ وبالغون إلى ما يملأ نفوسنا نعيماً وسعادة من صلاح هذه الأمة وفلاحها إن شاء الله. وفق الله الجميع لذلك.

المصدر: مجلة الهدي النبوي- المجلد الرابع- العدد ٤١- أول ربيع الأول سنة ١٣٥٩

من روائع الماضي

أوصيك ونفسي

فقرات من وصايا فضيلة الشيخ

محمد حامد الفقي (رحمه الله)

مؤسس جماعة أنصار السنة المحمدية

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على إمام المهتدين وعلى آله، وبعد:

فإن كنت تريد فلاح الدنيا والآخرة فأوصيك ونفسي:

١- اعرف ربك بنعمه التي يربيك بها وحده، وبالتفكير في آياته في نفسك وفي الآفاق التي تجري على سنن الحق والحكمة، وبأسمائه وصفاته التي تعرَّف بها إليك في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، فإنك إن عرفت ربك عرفت حقه عليك، وعرفت أنه لا ينبغي الإلهية والعبادة إلا له وحده، فإنه الغني، والكل فقير، وإنه القوي، والكل عاجز، وإنه الحي القيوم، والكل موتى.

٢- اعرف أن العبادة هي ذل القلب وخضوعه وحبه وتعظيمه وانقياده لله، وأن القلب هو الملك على الجوارح، فإذا دان بهذه العبودية لله، فقد صلح، وفي صلاح القلب صلاح الجوارح.

٣- أخلص العبادة لربك وحده، فإنه الذي يربيك ويربي جميع العالمين بنعمه، فإياه فاعبد، وبه فاستعن، ولا تخف إلا إياه، ولا ترجو ولا ترغب إلا إليه، ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف:٥٤)، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة:٥).

٤- احذر أن تشرك بربك أحدًا أو شيئًا في صفة من صفاته، أو في حق من حقوق عبادته، فهو السميع الذي يحيط سمعه بكل شيء، وهو البصير الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو القوي العزيز الذي لا يعجزه شيء، ذو البطش الشديد الغفور الودود الفعال لما يريد، القاهر فوق عباده الحكيم الخبير، وهو الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما بالحق، فإياك أن تنادي ميتًا وتدعوه لكشف ضر، أو قضاء حاجة، فإنك بذلك تعطيه من صفة سمع الله ورحمته وقدرته وحياته وقيوميته، وإنك بذلك تعطيه ما هو حق لله وحده من العبادة فتكون من أظلم الظالمين لنفسك، فـ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان:١٣).

وفي الحديث: «أظلم الظلم أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك».

٥- احذر أن تعبد الله إلا بما أحب وشرع في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، فإن العبادة هي حق الله، وهي السبيل إلى مرضاة الله، ولا طريق إلى معرفتها إلا من قبل الله صاحب الحق فيها، وهو الذي يهديك بها للوصول إليه، فإن أي حق للغير في عنقك لا تبرأ ذمتك منه إلا بأدائه على الوجه الذي سجل في مستنده بهيئته وصفته، وقدره وميعاده، وليس لحق الله مستند صحيح معتمد عنده وعند كل مؤمن به: إلا كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

٦- احذر ما يخدعك به الشيطان من مستندات

مزورة على الله يزخرفها لك باسم البدع الحسنة، ويسوقها لك على لسان فلان وفلان، والقول على الله بلا علم وافتراء الكذب عليه، «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» (الصف:٧)، وفي الحديث: «وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كان محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»، وفيه: «تركتكم على الحنيفية البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك».

٧- زك نفسك من قذارة الجهل والهوى والشهوات، وطهر قلبك من حظ الشيطان ونزغاته، بتلاوة القرآن حق تلاوته، متدبرًا لآياته فاهمًا لمعانيه ومقاصده، مهتديًا بهداه، فإن الله يقول فيه: «هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ» (البقرة:٢)، «وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ» (النحل:٨٩)، «وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ» (المائدة:١٥، ١٦)، «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ» (يونس:٥٧)، «وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا» (الإسراء:٨٢)، «فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ» (طه:١٢٣، ١٢٤)، «كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ» (ص:٢٩).

٨- احذر التقليد الأعمى في أي عمل من أعمالك الدينية أو الدنيوية، فإن التقليد الأعمى هو الذي جعل العبادات صورًا آلية ميتة، لا تهذب النفوس، ولا تزكي القلوب، ولا تحيي ميت الأرواح، فأغلقت دونها أبواب قبول الرب سبحانه.

فكانت «لا إله إلا الله محمد رسول الله» حروفًا وألفاظًا تلاك باللسان، بلا تعقل ولا فهم ولا معرفة لمقتضاها، فهدمتها العقائد الشركية والأعمال الجاهلية، والتحاكم إلى الطاغوت، والإعراض التام عن كتاب الله وهدي رسوله والتأسي به؛ باتخاذ مئات الشيوخ والمتبوعين والمقلدين، حتى أصبحوا على شرائع شتى وملل مختلفة، وعادوا مختلفين في الدين مخالفين للدين، فرقوا دينهم وكانوا شيعًا وأحزابًا «كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ» (المؤمنون:٥٣).

وكانت الصلاة حركات تقليدية باللسان والجوارح، لا تمس القلب ولا الأعمال ولا الأخلاق، فلم تغسل القلب ولم تزك النفس، ولم تأمر بمعروف ولم تنهَ عن فاحشة ولا منكر، ولم تدع إلى بر ولا إحسان ولا صلة ما أمر الله به أن يوصل.

وكان الصيام جوعًا وظمأ وتعذيبًا للصائم وشقاء في المبدأ والغاية، فلم يتعلم الصائم صبرًا، ولم يستفد قوة عزيمة ولا سعة صدر ولا جميل حلم، بما هو عدة النجاح في الحياة يتقي بها ويدفع عن نفسه كل ما كره، وهو الذي دعاه الله إليه بالصيام في قوله: «لعلكم تتقون» أي: تكسبون بالمران في الصيام كل أسباب القوة على اتقاء ما تخافون في الدنيا والآخرة، لكن الصيام التقليدي لا يكسب شيئًا من ذلك، فلم ينه عن قول الزور والعمل به، بل دعا أكثر الصائمين إلى شغل أوقات الصيام باللهو والخمول والكسل والتعطل، والفسوق والعصيان باسم تسلية رمضان.

وكانت الصدقات مغرمًا، لا يبذل قرشًا إلا رياء وسمعة، أو تقربًا وزلفى لمخلوق يرجوه ويخافه.

وكان ذكر الله سخرية ولعبًا ورقصًا وزمرًا، وكان القضاء والحكم ظلمًا وعبثًا، وكانت الزوجة شقاء ونكدًا، والأخوة عداوة وبغيًا وحسدًا، كل ذلك وغيره نتيجة التقليد الأعمى في الدين.

أما التقليد الأعمى في بقية الأعمال، فمحا شخصيتك وأفناها في غيرك، حتى كنت في كل ما تتناول من شئونك طفلًا أخرق، لا تزال تشعر بحاجتك إلى من يسندك ويأخذ بيدك ويرفعك، ثم يسوقك ويدفعك، فتضيع عليك بذلك أكثر فرص الحياة إن لم تضع عليك كلها، فتعيش دائمًا كئيبًا حزينًا.

ومن النتائج الوخيمة لهذا التقليد الأعمى: أنك أخذت فسوق أوربا الكافرة مؤمنًا بها، حتى غشتك في بيتك ومسجدك وعملك وخلقك، وأخيرًا تغلبت على دينك، فمحت وجودك الشرقي العربي الإسلامي، وأصبحت بها رجلًا في ريبك، طفلًا في تفكيرك وعقلك وعملك، تعتقد أنك بأشد الحاجة إلى من يحضنك ويكفلك، فتلقتك يد العدو، زاعمة لك- لطفولتك وسفاهتك- أنها كفيلة بتربيتك وتعليمك وتهيئتك للحياة، فطوقت عنقك بمخالبها وأنيابها، واعتصرت خيرك لنفسك، واستنفدت قواك وعناصر حياتك كلها، حتى أصبحت لا تستطيع أن تجابه شئون الحياة في شجاعة ولا قوة الإنسان المسلم الذي يمشي سويًا على صراط مستقيم.

المصدر: مجلة التوحيد: العدد رقم ٦، جمادى الآخرة ١٣٩٧هـ.